وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية للتربية للبنات
قسم اللغة العربية

سرقات المتنبي في النقد العربي القديم

رسالة تقدمت بها

ملكة علي كاظم الحداد

إلى مجلس كلية القائد للتربية للبنات في جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

إشراف

د. نصيرة أحمد حمزة لشمري

1423 هجري – 2002 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فأمّا الزبَدُ فيَذهَبُ جُفاءً وأمّا ما ينفعُ الناسَ فيَمكثُ في الأرضِ﴾

الرَعَد : 17

صدق الله العظيم

الإهـــــــــداء

إلى أبوةٍ منحتني كلّ ما أعتز به من قيم الحياة و مبادئها السامية ... والدي الحبيب .

إلى الشريان الذي يمدني بأسباب القوة و العزيمة في تخطي العقبات و مواصلة الحياة ... والدتي الحنون .

إلى الشراع المسافر الذي لا يعرف السكون أو التوقف ... ولا يمل من العطاء و التضحية ...
يغالب معي جنون الموج وغرور العاصفة وصولاً إلى ساحل الأمان ؛
فإليك يا رفيقة الدرب ... يا غصن الزيتون ... يا ابنة غزة ونابلس فاتنة الشوبكي .. حباً ووفاءً .

شـــكر وتقـــدير

إنَّ من الحقِّ أن يردَّ الحقُّ إلى أهلهِ ، ولذا فمن الحقِّ عليَّ أن أتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى كل من أعانني على إنجاز هذه الدراسة حتى استقامت واستوت على عودها ؛ وأبدأ بأساتذتي في قسم اللغة العربية ، وأخصُّ بالذكر منهم د . سعيد عدنان رئيس قسم اللغة العربية ، الذي عمِل على تعميق فهمنا ، وإنشاء جيلٍ من الطلبةِ يعشقُ الأدب ويتذوقُه .

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ خالد علي مصطفى الذي كان له الفضل في توجيهي إلى أهمية تتبع هذا الموضوع .

كما أن الشكر وحده يبقى قاصراً لا يفي بحق الشاعر الأديب الأخ مهدي حارث الغانمي الذي زودني بمعظم مصادر البحث موشحاً ذلك العطاء بخلقهِ الرفيع .

فضلاً عن تقديمي مشاعر الامتنان والتقدير إلى عائلة المهندس محمد حسين الشوبكي وأخصُّ بالذكر منهم الدكتور حسين الشوبكي والأخت الغالية فاتنة الشوبكي التي تحملت معي كثيراً من مخاض هذا المشوار العسير .

كما لا يقدَّر فضل والديَّ اللذان تحملا تقصيري ، فقد كانت مشاغل الدراسة وأعباؤها سبباً في حرمانهما من بعض حقوقهما عليَّ ؛ فاعتذاراً لهما ووفاءً لجميل صبرهما.

كما أتوجه بالشكر و العرفان إلى جميع موظفات مكتبة كلية القائد للتربية للبنات ومكتبة كلية الآداب و المكتبة المركزية في جامعة بغداد ، والى كل من قدم لي يد العون و المساعدة فجزاهم الله عني خير الجزاء .

والحمد لله في الأولى والآخرة

الباحثة

135
136

المحتوى

137

الموضـوع	الصفحة

التمهيد

النقد الأدبي " فن متشعب فسيح يتصدى للتحليل والتعليل والشرح ويتصدى لذكر مميزات العصور الأدبية ومميزات الشعراء والكتاب ويتصدى فوق ذلك لتحليل عناصر الأدب تحليلاً قائماً على الذوق الصافي " [1] ومما لاشك فيه ، أنّ المتلقي للنص الأدبي هو الناقد الأول ، إذا جاز لنا ان نتجاوز المهمة النقدية التي يمارسها المبدع نفسه بقصد أو بغير قصد ، إنما هو من ثمار موهبته التي صقلتها سعة الإطلاع ومخاض التجارب الذاتية ، فضلاً عن الثقافة اللغوية والأدبية التي تعينه على ذلك كله .

وعلى وفق تلك الرؤية البسيطة ، فأنَّ العرب ، ومنذ عهد مبكر عرفوا النقد و مارسوه وكانت لهم فيه جولات وصولات ومناظرات ومعارضات ، وكتبهم النقدية التي وصلتنا تنضح بذلك كلِّه ، وربما تزيد عليه ، ذلك أننا نجدهُم لم يدَعوا شاردة ولا واردةً في ميدان الأدب إلاّ وقفوا عليها ، وان كانت وقفتهم تلك تصدر عن عفو الخاطر ، وميل النفس ، أي بمعنى إنها كانت في معظم الأحيان ، تأثرية انطباعيةً ، لا نجد فيها للتعليل والتحليل مكاناً ؛ لكنها ، وعلى الرغم من ذلك كله كانت لا تخلو ؛ بل لا تبعد كثيراً عن الإصابة والصحة ؛ و ربما كان مردُّ ذلك إلى صفاء أذواقهم وعمق إحساسهم الفني الذي لم تشوشه أو تعكره كثير من الأمور التي استَجَدَّت في العصور المتقدمة ، و قد كان من نتائج وعيهم بها أن تغيرت وتنوعت حركة النقد حتى بلغت أوجِّ ازدهارها في العصر العباسي (القرن الثالث) عصر انفتاح الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى التي وفدت على الدولة الإسلامية من فارسية وهندية و يونانية [2] .

وكان من أهم ثمار هذا التلاقح ، في مجال الأدب ، ان تحوَّل هذا الفن الإبداعي عن الطَّبع والسليقة إلى الصنعة والتكلّف ، على أثر التبحر والتوسّع في علوم الفلسفة والمنطق والبلاغة [3] ، نتيجة تغير منحى الشعر نفسه إلى الفكر والحوار [4] و قد كان " الإحساس بالتطور والتغيُّر هو العامل الخفيّ في شحذ هممهم للنقد " [5] ، حتى أننا نستطيع القول ان النقد الأدبي في هذه الحقبة بدأ يأخذ منحى التخصص في مجالات التأليف اللغوي : كالنحو و الصرف و بقية علوم اللغة و بدأ النقد يتحول من نقد غيرِ معللٍ ، لا يعدو أن يستهجِن أو يستحسِن ، إلى نقد مُعللٍ يعتمد فيه الذوق على علم ذي قواعد وأصول ؛ وأصبح النقد الأدبي صناعة متخصصة لها أصحابها و مدارسها وتتجلى هذه الصورة أكثر ما تتجلى ، مع بزوغ فجر القرن الرابع الهجري ، فالطابع الغالب على النقد في هذا القرن انّ اللغويين والنحاة ، بوصفهم نقادا ، كادوا يختفون من حلبتِه ؛ و " حمل رايته أدباءٌ

---

[1] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه احمد إبراهيم / 5 .
[2] ينظر : م . ن / 39 ، وينظر العصر العباسي الأول ، د . شوقي ضيف / 147 – 159 .
[3] ينظر : تاريخ النقد الأدبي ، طه أحمد إبراهيم / 111 .
[4] ينظر : م . ن / 107 .
[5] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د . إحسان عباس / 18 .

236 **يتميز نقدهم باستقصاء البحث وشمول الفكرة و توضيح العلل والموازنة العامة**
237 **بين الشعراء وعنوا بدراسة الشعر وتقدير حاله وتخاصموا فيه فهذا ينتصر لأبي**
238 **تمّام وذاك يتشيَّع للبحتري وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبي وينسبون إليه كل**
239 **فضيلة في الشعر وأولئك ينتقصون منه ويرمونه بالتعقيد والمعاضلة والالتواء "**
240 **[1] ، وقد تنازعت في حلبة الصراع النقدي ثلاثة اتجاهات أدبية فنية مثلت أدب**
241 **ثلاثة من كبار شعراء العربية على الإطلاق ؛ هم البحتري وأبو تمّام و شاعرنا**
242 **المتنبي .**
243 **والى هذا أشار د. إحسان عباس قائلاً " لولا ثلاثة أشخاص كانوا قوىً دافعة في**
244 **توجيه النظرية الشعرية في نقد القرن الرابع ، لقدَّرنا أن يكون حظ ذلك النقد في**
245 **الاتساع أقل مما أتيح له " [2] ، فمن البديهي أن يوجد نقد عظيم حيثما وُجد أدبٌ**
246 **عظيم .**
247 **و قد كان حصاد تلك الصراعات ، العديد من الكتب النقدية التي اهتمت في بادئ**
248 **الأمر بالبحتري و أبي تمام ، ككتاب الموازنة للآمدي وأخبار أبي تمام للصولي ، ثم**
249 **دخل المتنبي ميدان الصراع دخولاً قوياً فاستقطب العديد من الأقلام والأهواء**
250 **والاتجاهات الثقافية والأدبية المختلفة ، و قد كان منها ما انحاز إلى جانب المتنبي**
251 **بحلوهِ ومُرِّه وغثِّه وسمينه ؛ ومنها ما كان على عكس ذلك تماماً ؛ أما التيار الثالث**
252 **فهو التيار المعتدل الذي حاول أن يُنصفَ المتنبي وينتصفَ منه ، ويعدُّ القاضي**
253 **الجرجاني من أبرز دعاة هذا التيار ، " وهو الميزان الذي انتهى إليه نقد الشعر في**
254 **القرن الرابع " [3].**
255 **و مع اتساع دائرة النقد الأدبي ، و تنوع اتجاهاتها ، كان من البديهي أن تبرُزَ**
256 **في هذا العصر العديد من القضايا النقدية المتنوعة ؛ ومن أهم تلك القضايا (**
257 **السرقات الأدبية) و هي " تعدّ من أوسع أبواب النقد الأدبي شغل بها النقاد**
258 **والشعراء على السواء " [4] ، بل هي من صميم أبحاث النقد الأدبي [5] وقد تنبّه**
259 **النقاد القدامى إلى هذه الظاهرة منذ أن كان النقد ذوقياً انطباعياً حتى أصبحت**
260 **ظاهرة مُلحة مع تطور حركة النقد في القرن الرابع الهجري .**
261 **ولا بد لنا من الوقوف أولاً عند معناها اللغوي قبل الخوض في الحديث عن**
262 **تطور مفهوم (السرقة) عبر العصور الأدبية .**
263 **السرقة بمعناها اللغوي من : " سرق الشيء يسرقه " : أخذَهُ بخفية [6]**
264 **ومعناها في اصطلاح النقد : (أخذ شاعر كلاماً شعرياً أو نثرياً من شاعر آخر)**
265 **ويتم هذا الأخذ بطرق شتى فإذا أخذ الكلام معنى ولفظاً من القرآن سمّي (اقتباساً**
266 **) وإن أخذ بطريقة منه سمي (توليداً) و ان أخذ نصاً سمي (نسخاً) [7] ، و قد**

---

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الجرجاني / مقدمة المحقق : ب
(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د . إحسان عباس / 127 .
(3) أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع ، د. محمود زغلول سلام / 350 .
(4) النظرية النقدية عند العرب ، هند حسين طه / 181 .
(5) ينظر : دراسات في النقد الأدبي ، رشيد العبيدي / 81 .
(6) لسان العرب لابن منظور / م : 10 ، مادة : سرق . وينظر : معجم النقد العربي ، د. أحمد مطلوب : 40 _ 43 .
(7) مصطلحات السرقة الأدبية في التراث النقدي العربي ، سندس محسن ، أطروحة ماجستير / 11 .

267 **جعل النقاد للسرقات مسمَيات مختلفة و مصطلحات كثيرة بلغ عددها مئة وخمسة**
268 **وأربعين مصطلحاً [1] ، و كلها انبثقت عن المصطلح الأم (السرقة) فهي تشابهها**
269 **في خصائص جوهرية (الأخذ من الغير) و تنفرد بخصائص تبعاً لطريقة الأخذ**
270 **والتحوير الفني في اللفظ والمعنى والأسلوب ولهذا عُدت السرقة مصطلحاً فضفاضاً**
271 **يقسم إلى (سرقة محضة) و (سرقة فنية) [2] .**
272 **والسرقة وجدت منذ العصر الجاهلي ؛ ففي كتب الأدب المتقدمة أخبار تدلُّ على**
273 **سرقة بعض الجاهليين من بعض ، وهي نابعة من فكرة نضوب المعاني [3] ، و**
274 **ضرورة التقليد ، وهذا ما صرّح به امروْ القيس بقوله :**
275 **عوُجاً على الطللِ المحيلِ لعلّنا نبكي الدِيارَ كما بَكى ابنُ حُذامِ**
276 **فالشاعر هنا إنما يقتفي أثر من سبقه ويسير على نهج (ابن حذام) ويتبع**
277 **طريقته الفنية في (البكاء على الأطلال) و تظهر هذه الفكرة بشكل واضح و جليٍّ**
278 **في قول عنترة : هل غادر الشعراء من متردِّمِ ؟ ومثله قول زهير بن أبي سلمى :**
279 **ما أرانا نقولُ إلا مُعارا أو مُعاداً من لفظِنا مَكرورا [4]**
280 **وقد دَرَجَ ، على الرغم من ذلك ، أغلب الشعراء على ذمِّ السرقة الشعرية و مِن**
281 **ذلك قول طرفة بن العبد :**
282 **ولا أغيرُ على الأشعار أسرقُها عنها غنِيتُ وشرُّ الناسِ من سَرَقا [5]**
283 **وفي الأعم الأغلب ، فان السرقة في العصر الجاهلي لم تكن كثيرة شائعة " إذ**
284 **لم تكن دواعيها وأسبابها قد شحذتها المنافسات السياسية والمذهبية والتفاخر**
285 **المجنون بين الأنساب والأيام كما في العصر الأموي " [6] و في عصر صدر**
286 **الإسلام بدا واضحاً إدراك الشعراء لهذه الظاهرة التي تعدُّ مثلبةً في قول الشاعر**
287 **يحاول أن يُبرِّئ شعرهُ منها ؛ و من ذلك قول حسّان بن ثابت :**
288 **لا أسرقُ الشعراءَ ما نَطقوا بهِ بل لا يوافقُ شِعرَهُم شِعري [7]**
289 **وفي العصر الأموي أخذ الشعراء يتقاذفون بينهم مذمة السرقة ، فنرى الفرزدق**
290 **يتَّهم جريراً بقوله :**
291 **إنَّ استراقكَ يا جريرُ قصَائِدي مِثلُ ادِّعاءِ سوى أبيكَ تنقّلُ [8]**
292 **ويقول جرير :**
293 **ستَعلم مَن يكونُ أبوه قيناً ومن عُرفتْ قصائِدُهُ اجتلابا [9]**
294 **" و من هذا نجد ان السرقات قد أخذت طريقها في الشعر العربي وأخذت**
295 **دائرتها تتسع باتساع دائرة الشعر نفسه وكان العصر الأموي حافلاً بأنواعها بعد أن**
296 **اتسع مجال الشعر وكثر التلاحي بين الشعراء للعصبيات القبلية و الانقسامات**

---

[1] ينظر : م . ن / 324 .
[2] ينظر : م . ن / 324 .
[3] ينظر : قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم ، د. وليد قصاب / 48 – 63 .
[4] ديوان زهير بن أبي سلمى : .
[5] الديوان / 216 .
[6] الشعراء نقاداً ، د. عبد الجبار المطلبي / 127 .
[7] شرح ديوان حسان ، تصحيح عبد الرحمن البرقوقي / 320 .
[8] نقائض جرير و الفرزدق / ج1 : 202 ، وينظر : ديوان الفرزدق / 1 : 711 .
[9] حلية المحاضرة / ج2 : 29 .

297 **السياسية التي حدثت في ذلك العصر وازدادت فكرة السرقات وضوحاً في أذهان**
298 **النقاد والشعراء أنفسهم " [1] .**
299 **أما القرن الرابع فقد " شهد غارة شعواء على كل معنى سابق لمتقدم أو معاصر**
300 **" [2] فأثيرت حركة نقدية ضخمة ضمت الشعراء والنقاد على السواء ، ففي هذا**
301 **العصر أخذت دائرة (السرقة الأدبية) تتسع وتتطور فصارت لها مراتب و منازل و**
302 **مصطلحات متعددة و ألفت فيها الكتب الكثيرة حتى غدا " الشعراء يجهرون بما**
303 **يأخذون لأنهم آمنوا بأن ما يفعلونه ليس إلا طريقة من طرائق الفن السليم " [3] .**
304 **كما ذهب د. إحسان معللاً شيوعها بقوله انّ : " الدافع الأول لنشوء هذه القضية**
305 **هو اتصال النقد بالثقافة و محاولة الناقد ان يثبت كفايته في ميدان الإطلاع ثم تطور**
306 **الشعور بالحاجة إلى البحث خضوعاً لنظرية ربما كانت خاطئة ، و هي أن المعاني**
307 **قد استنفدها الشعراء الأقدمون وان الشاعر المحدث قد وقع في أزمة تحدُّ من قدرته**
308 **على الابتكار ، و لهذا فهو أما ان يأخذ معاني من سبقه أو يولد معنى جديداً من**
309 **معنى سابق و بهذا يتفاوت المحدثون في قدرتهم من هذه الناحية ، فمنهم من يقصر**
310 **عن المعنى السابق و منهم من يحتذيه ومنهم من يزيد عليه ومنهم من يولد معنى**
311 **لم يخطر للأول وبذلك حل التوليد محل الابتكار وبسبب هذا التفاوت تفاوت**
312 **المصطلح المتصل بالمعاني " [4] .**
313 **وبهذا أصبحت السرقة للشاعر المُحدَث أمراً لا مفرَّ منه ، كما أصبح هناك نوع**
314 **من السرق يُكسب صاحبه مُزيةً وفضلا ، وأحقيَّةً بالمعنى الذي سرقه من صاحبه**
315 **الذي ابتدعه ؛ وذلك حينما يأخذ المعنى فيكسوه حُلةً جديدة و صياغة أحلى من**
316 **صياغته السابقة ، وهذا ما دعا إليه أغلب النقاد ومنهم ؛ ابن طباطبا العلوي ،**
317 **مسوغاً ظاهرة الأخذ والسرقة عند الشعراء المحدثين قائلاً : " والمحنةُ على**
318 **شعراء زماننا في أشعارهم أشدُّ منها على من كان قبلهم لأنهم قد سُبقوا إلى كل**
319 **معنىً بديعٍ و لفظ فصيح وحيلة لطيفة ... فان أتوا بما يقصّر على معاني أولئك ولا**
320 **يَربى عليها لم يتلقَ بالقبول و كان كالمطروح المملول ... " [5] .**
321 **وأولُ تدوين أدبي نقدي لمصطلح السرقة ورد عند الأصمعي (ت 210 هـ) في**
322 **فحولة الشعراء إذ استخدم ألفاظاً عديدة منها الاختراع والاهتدام والاجتلاب والأخذ**
323 **و الانتحال [6] ، إلا ان إشاراته " لسرقات الشعراء لم تكن قائمة على أسس فنية "**
324 **[7] .**
325 **ثم أورد ابن سلام الجمحي (ت 232 هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء قسماً**
326 **من سرقات الشعراء أثناء تراجمهم [8] ، و بحثه في هذه القضية يتفق مع منهجه**

---

(1) سرقات المتنبي ، د . علي عبد الرزاق السامرائي / 20 .
(2) تاريخ النقد ، د . إحسان عباس / 29 .
(3) مشكلة السرقات في النقد العربي القديم ، د . محمد مصطفى هدارة / 70 .
(4) تاريخ النقد ، د. إحسان عباس / 39 .
(5) عيار الشعر ، لابن طباطبا العلوي / 8 – 9 .
(6) ينظر : فحولة الشعراء / 19 . وينظر: الأصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي ، أياد عبد المجيد إبراهيم / 448 – 455 .
(7) الثعالبي ناقداً و أديباً ، د . محمود عبد الله الجادر / 324 .
(8) ينظر : طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام / ج1 : أخبار عمر بن لجأ وجرير : 558 ، 58 ، 128 .

327 **في تحقيق نسبة الأشعار إلى أصولها وتصحيح رواياتها كونه مؤرخاً أدبياً امتاز**
328 **بالأمانة العلمية في رواية ما يتعلق بشعراء طبقاته .**
329 **أما الدراسات التي بدأت تأخذ منحى التخصص في قضية السرقات الأدبية فقد**
330 **تمثلت بكتاب (سرقات الكميت من القرآن وغيره) لابن كناسة (ت 207) ، وهو**
331 **كتاب مفقود ، ولكن جاء ذكره في الفهرست لابن النديم [1] ، ثم (سرقات الشعراء**
332 **وما اتفقوا عليه) [2] لابن السكيت (ت 240) .**
333 **ثم تطور بحث النقاد العرب في السرقات " ببحث العلاقة بين الألفاظ والمعاني**
334 **فخضع لمقاييس فنية خالصة ، و لعل أول دراسة من هذا النوع هي تلك التي**
335 **عقدها الجاحظ " (ت 255) [3] ، وهذا واضح من خلال مقولته المشهورة في**
336 **المعاني : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي**
337 **والحضري والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة**
338 **المخرج " [4] ، ويبدو هنا أنّ إشارة الجاحظ إلى السرقات قليلة ، وقد جاء ذكرها**
339 **في أثناء بحثه عن المعنى المبتكر، وهي إشارة تكاد تكون عابرة ، وربما كان هذا**
340 **الأمر هو الذي دعا بعض النقاد القدامى إلى عدم إدراك قصد الجاحظ من مقولته**
341 **المشهورة [5] ، " ولا شك في أن الجاحظ حين تحدث عن المعاني المطروحة في**
342 **الطريق وأعطى اللفظ الفضل و الشرف لم يكن يريد هذا اللفظ المفرد الذي لا قيمة**
343 **له وإنما هو يريد شيئا أبعد من ذلك وأعمق وأهم ، يريد الصورة التي تحدث في**
344 **المعنى وهذا هو معنى قول الجاحظ عن الشعر : إنه صياغة وضرب من التصوير**
345 **فهذه الصياغة ليست هي الألفاظ المفردة إنما هي الصور التي تحدث في المعاني "**
346 **[6] .**
347 **من ذلك نلاحظ أن قضية السرقة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بقضية اللفظ و المعنى**
348 **حتى أصبح هناك تمييزٌ بين نوعين من السرقة مذموم و محمود ، و هذا التمييز**
349 **نتج عن إدراك مفهوم الصورة الشعرية و التفريق بين المعنى الذهني المجرد و**
350 **المعنى الشعري المصوَّر و كان للجاحظ الفضل في إرسائه ، فبدأ البلاغيون والنقاد**
351 **من بعده يلتفتون إلى التصوير الأدبي [7] .**
352 **أما ابن قتيبة (ت 276) فقد كان " اهتمامه بالسرقات أشد من اهتمام الجاحظ**
353 **... و لعله أول من وسّع بحث السرقات " [8] حين استعرض قسماً من سرقات**
354 **الشعراء في أثناء ترجمته لهم [9] ؛ فتطرق للسرقة " بصفتها فناً و قال بفكرة**
355 **السرقة المحمودة التي ألمَّ بها الشعراء بمعاني القدماء وأحسنوا بما زادوا عليها**

---

[1] ينظر : الفهرست ، طبعة بيروت ، مكتبة خياط (طبعة حجرية) / 70 – 71 .
[2] م . ن / 72 ، 73 .
[3] الثعالبي ناقداً وأديباً / 325 .
[4] الحيوان ، الجاحظ / ج3 : 331 .
[5] كأبي هلال العسكري عندما جعل التفاضل بين الناس في الألفاظ وبالتالي تكون السرقة مقصورة على أخذ ألفاظ السابق .
[6] قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم ، د. وليد قصاب / 58 .
[7] ينظر الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر أحمد عصفور / 309 – 316 .
[8] الثعالبي ناقداً ، محمود عبد الله الجادر / 326 .
[9] ينظر : الشعر و الشعراء ، لابن قتيبة / ج1 : 73 ، ج2 : 581 ، 866 .

356 **فألبسوها بذلك ثوباً جديداً غير ثوبها ، و بذا يكون ابن قتيبة قد أخرج هذه**
357 **القضية من دائرة الاتهام التي وضعت فيها " [1] ، أما إذا نظرنا إلى " المقياس**
358 **العام عند ابن قتيبة فإن الجودة هي ذلك المقياس للشعر دونما اعتبار لقِدَم الشعر أو**
359 **حداثته " [2] .**
360 **ثم ألف ابن أبي طاهر طيفور (ت 280) كتابه (سرقات الشعراء) [3] ، و من**
361 **مؤلفات القرن الثالث في السرقة (سرقات البحتري من أبي تمام) لبشر بن يحيي**
362 **أبي الضياء النصيبي وله أيضاً كتاب (السرقات الكبير) [4] .**
363 **ونلاحظ أن السرقة استأثرت باهتمام البلاغيين أيضاً و منهم ابن المعتز (296)**
364 **في البديع إذ " تناول فن البديع الذي سرقه المحدثون من القدماء و توسعوا فيه**
365 **واستكثروا من استعماله فكان ذلك أول من تناول السرقة بهذا المفهوم الفني " [5]**
366 **، و له كتاب (سرقات الشعراء) وهو مفقود [6] .**
367 **ولم تمر قضية السرقات في طريق ابن طباطبا العلوي (ت 322) دون أن يقف**
368 **عندها ، فقد تطرق إليها في كتابه (عيار الشعر) ، الذي حاول فيه التماس العذر**
369 **للمحدثين في إقتدائهم بالأوائل منبّهاً إياهم إلى طرق السرقة و مداخلها : " ...**
370 **ويتاح إلى من سلك هذه السبل ألطاف الحيلة و تدقيق النظر في تناول المعاني و**
371 **استعارتها و تلبيسها حتى تتخفى على نقادها و البصراء بها وينفرد بشهرتها كأنه**
372 **غير مسبوق إليها فيستعمل المعاني المأخوذة من غير الجنس الذي تناولها منه ...**
373 **" [7] ، فهو يُعلِّم الشعراء المحدثين كيفية الأخذ الحسن ويدعوهم للنظر في أشعار**
374 **السابقين والتمرُّس بأدبهم ؛ كما كان لهذه القضية حضور واضح عند ابن عبد ربه**
375 **الأندلسي (328) ، الذي حاول من خلال عرضه لها ، أن يُخفف من تهمة العلماء**
376 **للشعراء بالسرقة ، وقد كان يصطنع مصطلح الأخذ عوضاً عن السرقة [8] .**
377 **كما ألف مهلهل بن يموت (334) كتاباً في (سرقات أبي نؤاس) [9] ، أما**
378 **الصّولي (335) فانه يؤمن بفكرة أنّ من سرق معنى من متقدم ، و حسَّنه كان**
379 **أحقَّ به ، و أورد لذلك شواهد وأمثله كثيرة ، خاصةً فيما يتعلق بابي تمام وسرقات**
380 **البحتري منه [10] .**
381 **وعرض أبو الفرج الأصبهاني (356) ، للسرقات في كتابه الأغاني في ذكره**
382 **اتهام رؤبة ذا الرمةِ بالسرقة [11] ، لكن بحثه فيها أخذ منحىً أدبياً لا نقدياً ، أي انه**
383 **اعتمد عليها لأجل توثيق النصوص وتصحيح نسبتها إلى أصحابها الأصليين .**

---

(1) النظرية النقدية عند العرب : 188 .
(2) المنصف في الدلالات ، لابن وكيع ، أطروحة ماجستير ، حمودي المشهداني / 20 .
(3) ينظر : الفهرست / 327 .
(4) ينظر : م . ن / 149 .
(5) الثعالبي ناقداً / 327 ، وينظر النظرية النقدية ، هند حسين طه / 293 .
(6) ينظر : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، محمد عبد المنعم خفاجي / 518- 521 .
(7) عيار الشعر / 76 – 78 .
(8) ينظر : العقد الفريد / ج6 : 186 ، 241 .
(9) وهو سرقات أبي نؤاس، مهلهل بن يموت ، تحقيق محمد مصطفى هدارة .
(10) ينظر : أخبار أبي تمام ، الصوفي / 53 – 54 .
(11) ينظر : الأغاني / ج 17 : 331 .

384 **أما إذا وصلنا إلى الآمدي فنجده ينصُّ على مشروعيتها وقِدَمها ؛ وكأنها أمر لا**
385 **بد منه فهي عنده باب " ما يعرى منه أحد من الشعراء "** [(1)] **، فهي مباحة عنده ،**
386 **لأنه قلما يخلو ديوان شاعر منها ؛ فالمعاني معروفة ، و لكل عصر قاموس**
387 **مفردات مطبوعٌ بتقاليد وأعراف اجتماعية مخصوصة ، و من الممكن أن تتشابه**
388 **طرائق أفكار الشعراء ومناحي تعبيرهم ، ذلك أن الفكر الإنساني يمثل حصيلة**
389 **التراكم الثقافي والاجتماعي لعصر معين** [(2)] **؛ وهذا ما يدلُّ على أن الأخذ عند**
390 **الآمدي لا يغضّ من قيمة الآخذ ، و لا يكون سبباً مُفضياً إلى تفضيل المأخوذ منه**
391 **على الآخر بالضرورة ؛ بل أن الآمدي ينصّ على أهمية سعة إطلاع المحدث على**
392 **القديم ؛ على أن يخدم هذا الإطلاع صاحبه في اجتراح المعاني و صياغة الأسلوب**
393 **، ولهذا نجده يردد عبارة ابن طباطبا : " ان اتكال الشاعر على السرقة بلادة**
394 **وعجز وتركه كل معنى سُبق إليه جهل ، والمختار له أوسط الحالات "** [(3)] **.**
395 **وهكذا نجد الآمدي يحدد السرقة تحديداً نقدياً ، حين يجعل السرقة في البديع**
396 **المخترع الذي ليس للناس اشتراك فيه ، و مما لا شك فيه إن الآمدي ، في رأيه هذا**
397 **؛ يمثل تطوراً مهماً في فهم مفهوم السرقات بالمعنى النقدي ، فهماً أفادَ منه مَنْ**
398 **جاءَ مِن بعده من البلاغيين الذين جعلوا السرقات الأدبية فناً من فنون البلاغة ،**
399 **وعملاً فنياً لا غنى للشاعر عنه ، ولذلك وجدنا أبا هلال العسكري (395) يدفع**
400 **بالدراسات النقدية إلى الامتزاج بالبلاغة و هو " من أوائل المؤلفين الذين خلطوا**
401 **بين البلاغة و النقد ومن المؤلفين الذين لا يفرقون بين أبحاث تخصّ البلاغة**
402 **وأبحاث تخص النقد لأنه يرى انَّ الإثنين يعملان على صناعة الكلام التي يرتضيها**
403 **الذوق العربي "** [(4)] **، و الذي بدا واضحاً انه متأثر بآراء الجاحظ ، خاصة فيما**
404 **يتعلق بفكرة (المعاني مطروحة في الطريق) ، ولكن بشكلها الخاطئ الذي فهمه**
405 **بعض النقاد القدامى ؛ فأرجع أسرار الجمال الفني كله في الشعر إلى اللفظ محاولاً**
406 **ان يبرهن على قيمة الألفاظ في العمل الفني ، وهي التي يقوم عليها أساس**
407 **التفاضل فالسرقة عنده تكون مقصورة على أخذ ألفاظ السابق و نقلها ؛ فمن أخذ**
408 **معنى ولفظه كان له سالخاً ؛ ومن أخذه فكساه لفظاً من عنده أجود من لفظه كان**
409 **أولى به ممن تقدمه** [(5)] **، فهو معني بالمعنى و ما ورد فيه من أبيات مختارة تماثله**
410 **أو تقاربه ، فهولا يرى بأساً في جعل المعنى حافزاً لتوليد معنى آخر** [(6)] **، كما ألَّف**
411 **الخالديان (أبو بكر محمد 380) و (أبو عثمان سعيد 390) ، المعاصران لأبي**
412 **هلال العسكري كتاب (الأشباه و النظائر) ، و هي اختيارات تعقب فيها المؤلفان**
413 **المعاني في شعر العرب قديمه و حديثه ؛ لكشف المبتدع والمتبع ومن ثمّ لبيان**
414 **المحسن والمسيء عند المحتذي والمتبع ، وهما يتطرقان للأقدم زمناً في كل معنىً**
415 **يقفان عليه ، ثم يعمدان إلى إجراء المقارنة والموازنة ، و يصرّح الخالديان**

---

(1) الموازنة / ج1 : 122 .
(2) ينظر : خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، ولبر سكوت ، (ت : عناد غزوان) / 266-270 .
(3) عيار الشعر / 5 .
(4) النظرية النقدية / 319 .
(5) ينظر : الصناعتين / 202 – 204 / باب تداول المعاني .
(6) ينظر : ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري / . 16 .

416 بمنهجَيْهما في مقدمة الكتاب : " ... نضمِّن رسالتنا هذه مُختار ما وقع إلينا من
417 أشعار الجاهلية و مَن تبعهم من المخضرمين ... و نذكر أشياء من النظائر ... و
418 نتكلم على المعاني المخترعة و المشيعة ولا نجمع نظائر البيت في مكان واحد ولا
419 المعنى المسروق في موضع ذكره " [1] ، ومن خلال هذا الكتاب " يتسنى للقارئ
420 ان يدرك فضل السبق الذي كان للطائفة الأولى مع تقديره مدى التقصير أو
421 البراعة في الأخذ التي امتازت بها الطائفة الثانية فينصف الطائفتين كل واحدة
422 منهما من الأخرى في وقت واحد بناءً على شواهد موضوعة بعضها إلى بعض في
423 نسق واحد " [2] ، و هكذا نرى أنّ الخالديين قد جعلا من دراسة الأشباه والنظائر
424 تأملاً في معاني الشعر و صياغته بعيداً عن مذمة السرقة و العصبية التي تهدف
425 للغض من مكانة الشعراء .
426 أما الثعالبي (429) فيذكر في كتابه يتيمة الدهر نموذجاً لسرقات الشعراء الذين
427 يترجم لهم ومنهم المتنبي من خلال استعراضه لبعضٍ من سرقاته ، وقد فتح
428 الثعالبي في بحث السرقة باباً توهَّم بعض المعاصرين انه من مبتكرات النقاد
429 الغربيين وهو باب (السرقة الشخصية) أو (تكرار الشاعر أفكاره وعباراته و
430 صوره الشعرية) [3] ، " و قد كان من أهم ما رفدتنا به دراسة الثعالبي ، هو أنّها
431 فتحت لنا الباب لتلمس " أثر العبقرية الأدبية في التيار الأدبي الذي تعاصره فكان
432 بذلك من أوائل النقاد الذين أخضعوا الحديث عن السرقات بهذا المفهوم الفني "
433 [4] ، وهذا ما سنأتي على ذكره مفصّلا في الصفحات القادمة .
434 و اكتفى ابن رشيق (456) بآراء من سبقه من النقاد مع الإلمام بها [5] ، عندما
435 أدلى بدلوه في حديثه السرقات ، وكان يبدو ان ليس فيه زيادة لمستزيد .
436 هذه هي أبرز المؤلفات التي عرضت لمفهوم السرقات عند النقاد السابقين لعبد
437 القاهر الجرجاني (471) ، وكما بدا لنا أنها لم تصل أو لم تنتهِ برؤية واضحة
438 المعالم حتى مجيء عبد القاهر الجرجاني الذي مثَّل تغيراً وتطوراً نوعياً في فهم
439 السرقات ؛ فكان له الأثر الواضح فيما تبعه من الدراسات التي تصدت للسرقات
440 الأدبية ، ذلك أنّ الجرجاني كان من أكثر النقاد استيعاباً لهذه القضية النقدية حينما
441 حاول تبرئة الشاعر من (السرقة) بوصفه فناناً يملك القدرة الإبداعية على تحوير
442 النصوص وتقديمها إلى المتلقي بصورة أخرى ، وهو يقسم المعاني على قسمين :
443 عقلي وتخييلي ، ولكلٍّ منهما أنواعهُ ، و من ثم يعمد إلى بناء نظريته في السرقات
444 على أساس هذا التقسيم : " فدراسة السرقات الأدبية عنده مرتبطة بدراسة
445 المعاني الشعرية والخيال ومدى انتفاع الشاعر بالسابقين له في هذا ، و ما يضيفه
446 أو يجده " [6] ، وسنفرد في صفحات البحث المتقدمة تفصيلاً وافياً عن رؤية عبد
447 القاهر الجرجاني لنظرية السرقات و ارتباطها المباشر بنظرية النظم عنده .

---

(1) الأشباه و النظائر / ج1 : 2 - 3 .
(2) م . ن : مقدمة المحقق / ر .
(3) الثعالبي ناقداً / 332 – 333 .
(4) مجلة الرابطة ، المتنبي في معيار الثعالبي النقدي / 34 .
(5) ينظر : العمدة / 256 – 278 .
(6) اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس / 94 .

448 **وإلى ضياء الدين ابن الأثير (637) انتهت جهود النقاد الذين سبقوه ولديه**
449 **تجمّع حصاد المؤلفات النقدية طوال هذه الحقبة الطويلة الخصبة ، وقد انبرى قلم**
450 **هذا البلاغيِّ الكبير للدفاع عن المتنبي في كتابه (الاستدراك) رداً على رسالة ابن**
451 **الدهّان (569) ، التي رمى فيها شعر المتنبي بكثير من السرقة ، ويأتي كتاب**
452 **الإستدراك بعد سلسلة دراسات تناولت قضية السرقات بصورة عامة ، بدءاً بكتابه**
453 **الجامع الكبير ، ثم المثل السائر ، و التي أتمّها في كتابه (الاستدراك) ، وهذا**
454 **ما سنتناوله أيضاً بشيء من التفصيل لاحقاً . ثم جاء الخطيب القزويني (839)**
455 **في كتابه (الإيضاح المختصر في تلخيص المفتاح) الذي ختمه بدراسة السرقات**
456 **متابعاً فيها رأي عبد القاهر الجرجاني [1]**
457 **هذا ما كان من شأن الدراسات النقدية حول قضية السرقات الأدبية فكان منه ما**
458 **هو خاصّ ببعض الشعراء كأبي نؤاس و أبي تمام و البحتري و منها ما هو عام**
459 **يتمثل بأخبار السرقات المبثوثة في كتب الطبقات و التراجم وكتب الأدب والكتب**
460 **العامة في النقد والبلاغة . و من الملاحظ ان الحديث في السرقات ينشط عند**
461 **ظهور شاعرٍ يُحدث تفرداً وتجديداً في الشعر العربي ، كيف هذا والحال في القرن**
462 **الرابع عصر ازدهار فن النقد الأدبي و بلوغه القمة في التطور والصعود ؟؟ [2] ،**
463 **حتى " أخذ النقاد يقفون وقفات طويلة عند البحث عن المعاني ومن ثم عِند قضية**
464 **أخذها أو سرقتها وطغت مشكلة السرقات الشعرية أو كادت على سائر المشكلات**
465 **النقدية " [3] ، فصارت رحى المعركة على أشدها بين النقاد حول أبي تمّام و**
466 **البحتري ؛ و بين المتنبي وخصومه ، وكان لهذه المعارك صداها الايجابي ، والواقع**
467 **الذي نلمحه في تاريخ النقد عند العرب ان الحديث عن السرقات يزداد عمقا و جديّة**
468 **كلما ظهر شاعر مبدع وأثار الخلاف بين النقاد والأدباء حوله ، حينها تزداد الحاجة**
469 **للتحليل والموازنة والتعليل ، خاصّة حين يظهر شاعر يمتلك ناصية الشعر ، قديمه**
470 **وحديثه ، فكان من ثمار ذلك كله أن انقسمت جهود النقاد حول سرقات المتنبي على**
471 **ثلاثة أقسام :**
472 ***أولاً – نقد السرقات عند شرّاح ديوان أبي الطيب المتنبي* : وهي تهدف بالدرجة**
473 **الرئيسة إلى شرح وتفسير معاني شعر أبي الطيّب ، و فيها يقوم الشارح**
474 **باستعراض الأبيات المُشبهة في معناها ، معاني أبيات المتنبي ، وهي كثيرة**
475 **وسنذكر أشهرها :**
476 **1- (الفسر) لأبن جني (ت 392) : الذي اهتم بالإعراب والنحو أكثر من**
477 **المعنى وتعامل مع الأبيات على أنها وحدات مجتزأة من دون ربطها بالنص الكلي .**
478 **2- (الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي) لابن جني ، وقد تناول فيه أبيات**
479 **المعاني وما شابهها فقط ، أي التي يصعب فهم معانيها كما أشار إلى عدد من**
480 **سرقاته .**
481 **3 – (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري (ت 449) .**

---

[1] ينظر : أصول النقد الأدبي / احمد الشايب : 271 .
[2] ينظر : النظرية النقدية / 98 – 99 .
[3] تاريخ النقد ، د. إحسان عباس / 17 .

482 **4 – (الفتح على أبي الفتح) لابن فورجة (ت 400). التجنّي على ابن جني**
483 **لابن فورجة.**
484 **5 – (شرح مشكل أبيات المتنبي) لابن سيده (ت 458) .**
485 **6 – (شرح ديوان المتنبي) للواحدي (ت 468) .**
486 ***ثانياً : دراسات نقدية عامة :* استعرضت سرقات المتنبي ، ناقدةً إياها بروح**
487 **قريبة من الموضوعية ؛ وهي تنقسم على قسمين : منها ما هو خاص بالنقد**
488 **وقضاياه العامة ومن ضمنها السرقات ، ومنها ما هو خاص بالمتنبي وشعره عامة**
489 **، ومن ضمنها سرقاته ؛ أما الدراسات التي اشتملت على *القسم الأول* فهي :**
490 **1- يتيمة الدهر / الثعالبي (ت 429)**
491 **2 - البديع في نقد الشعر / أسامة بن منقذ (ت 584) .**
492 **3 - (الجامع الكبير) و (المثل السائر) و (الوشي المرقوم في حل المنظوم) /**
493 **ابن الأثير .**
494 **أما الدراسات التي اشتملت على *القسم الثاني* ، فهي الدراسات الخاصة**
495 **بالمتنبي و شعره عامة ، ومن ضمنها سرقاته ؛ وهي :**
496 **1- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي / للصاحب بن عبّاد (ت 385) و هي**
497 **رسالة تكشف عن عيوب شعر المتنبي وبيان عدد من سرقاته .**
498 **2- الوساطة بين المتنبي و خصومه / للقاضي الجرجاني (ت 392) .**
499 **3 - تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحَسَن والمعيب / باكثير**
500 **الحضرمي (ت 975) .**
501 **4 - الصبح المنبي عن حيثية المتنبي / يوسف البديعي (ت 1073) : و هو**
502 **كتاب في ذكر أخبار المتنبي تناول عددا من القضايا النقدية ، ومن أهمها سرقات**
503 **المتنبي .**
504 ***ثالثاً _ دراسات نقدية خاصّة بسرقات المتنبي :* وهي التي اكتفت بتحديد أصول**
505 **الأبيات الشعرية دون أن تتضمن تحليل أو بيان المكونات الجزئية للنص ، التي تم**
506 **من خلالها تداخل الأبيات السابقة مع اللاحقة ، ومن ثمَّ بيان وظيفتها في داخل**
507 **النص الجديد ، وهي :**
508 **1 - الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي و ساقط شعره / لأبي**
509 **علي الحاتمي (ت 388) و هي عبارة عن مناظرة بين الحاتمي و المتنبي ركَّز**
510 **فيها الحاتمي على بيان سرقات المتنبي و عيوب شعره ، و هي من أوائل الرسائل**
511 **التي صُنِّفت في نقد شعر المتنبي وكشف سرقاته .**
512 **2 - الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطاطاليس في الحكمة**
513 **/ لأبي علي الحاتمي ، وفيها يورد المؤلف مئة بيت للمتنبي مما وافق فيها معاني**
514 **أرسطاطاليس .**
515 **3 - المنصف للسارق و المسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي /**
516 **لابن وكيع التنيسي (ت 393) ، وقد تميّزت عن غيرها من الدراسات المخصصة**
517 **لدراسة سرقات المتنبي ، من حيث تناولها لشعر المتنبي إجمالا ، من أول قصيدة**
518 **قالها إلى آخر قصيدة في حياته ، إلا أن تلك الدراسة ، كغيرها من الدراسات لم**

519 **تركّز على وظيفة تداخل النصوص السابقة والجديدة ، على مستوى النص ككل ؛**
520 **بل على مستوى البيت بوصفه وحدة متكاملة في القصيدة .**
521 **4- الإبانة عن سرقات المتنبي / للعميدي (433) ، وفيها ينصُّ العميدي على**
522 **ما سرقه المتنبي من أشعار غيره دون الإشارة أو الاعتراف بفضلهم .**
523 **5 - سرقات المتنبي و مشكل معانيه / لابن بسّام النحوي : قام فيه المؤلف**
524 **بشرح المعاني المشكلة في عددٍ من قصائد المتنبي مع بيان طائفة من سرقاته .**
525 **6 - الاستدراك على المآخذ الكندية من المعاني الطائية / لضياء الدين بن**
526 **الأثير (ت 637) .**
527 **بعد تلك الجولة السريعة التي حاولنا فيها استعراض قضية السرقات في كتب**
528 **النقاد و البلاغيين القدامى ، لا بدّ لنا من أن نقف وقفة تأمل وتفكّر في أهم البواعث**
529 **التي ارتقت بمسألة السرقات إلى مصاف القضايا النقدية الأكثر أهميةً و بروزاً عبر**
530 **العصور الأدبية ، و جعلتها الشغل الشاغل لكثير من النقاد ؛ إذ لم تكد تمر هذه**
531 **المسألة على ناقد دون أن تستأثر باهتمامه أو تستوقفه، ولعلنا نستطيع أن نصنّف**
532 **هذه الأسباب على وفق ما اطلعنا عليه من آراء النقاد و كتاباتهم إلى أسباب علمية**
533 **موضوعية و أسباب خاصة بعيدة عن الموضوعية ؛ فالأسباب الموضوعية تتمثل**
534 **بـ : برغبة أولئك النقاد و الكُتَّاب بيانِ غزارةِ محفوظهم الشعري و الكشف عما**
535 **يمتلكونه من سعة إطلاع وعمق ثقافة و دقة نظر ؛ فكانت مسألة السرقات ميداناً**
536 **خصباً للتباري فيما بينهم لتحقيق تلك الرغبة ؛ فنجد الناقد منهم يتتبع أشعار**
537 **الشاعر تتبعاً دقيقاً ليستخرج ما خَفِي فيها مما أسموه (سرقة أو أخذاً أو سلخاً**
538 **...) ، إلى غير ذلك من المصطلحات غير المحددة ، يُشفِع ذلك بالدلائل الشعرية**
539 **المتنوعة التي تكشف عن حقيقة سرقة هذا الشاعر ، و حصيلة هذا الجهد المُضني**
540 **الكشف عن مقدرة هذا الناقد وسعة إطلاعه ، فضلا عن تفوّقه [1] ، خاصّة ، وان**
541 **هناك من النقاد من يجعل العلم بالسرقة ومعرفة أنواعها والكشف عنها المحكُّ**
542 **لبيان قدرة الناقد ، في ضروب الكلام ؛ وفي ذلك يقول القاضي الجرجاني : "**
543 **ولستَ تُعَدُّ من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميِّز بين أصنافه وأقسامه و**
544 **تحيط علماً برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرقة والغصب وبين الإغارة والاختلاس**
545 **... " [2] ، فالكشف عن السرقة لا ينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرِّز [3] ، و**
546 **لهذا دعا ضياء الدين ابن الأثير إلى حفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد في**
547 **سبيل معرفة السرقات والوقوف عليها [4] .**
548 **أما الدافع الثاني ، و هو متصل بالدافع الأول أيضاً ، و يتمثّل في مسألة مهمة ،**
549 **لمّا تَزَل تستأثر باهتمام النقد الأدبي ، ألا و هي قضية الأصالة و التجديد ؛ وقد**
550 **أشرنا سابقاً إلى ما وقع فيه المحدثون ، من الشعراء و الكتاب ، تحت وطأة**
551 **الإحساس ما أسموه بنضوب المعاني و استهلاكها [5] ؛ فكان أن قصر الشعراء**

---

[1] فصول في النقد ، محمد خير / 15 .
[2] الوساطة / 183 .
[3] ينظر : م . ن / 183 .
[4] ينظر : المثل السائر / 366 .
[5] ينظر : قضية عمود الشعر / 49 ، 50 ، 18 .

552 المحدثون " عملهم على تحوير المعاني القديمة و تمطيطها وتوثيقها ببعض
553 الصور البديعية وربما عمدوا إلى قلبها وتغيير أغراضها و قد لاحظ النقاد ذلك
554 وخاضوا فيه فنشأ عن ذلك هذا البحث المستفيض في السرقات الأدبية " [1] ،
555 فأصالة الشاعر و تجديده في المعاني و الصياغة يُعَدُّ ميداناً خصبا من ميادين
556 التباري بين الشعراء ، على الرغم من أنّ النقّاد القدامى (اللغويين) ، مع ولعهم
557 بقضية التجديد والإبداع ، قد قيدوا الشعراء بنُظُمٍ وتقاليدٍ أدبية كان خروج الشاعر
558 عنها يُعدّ في أغلب الأحيان عيباً أو مثلبةً ، حتى و إن كانت رغبة الشاعر في
559 التجديد والإبداع هي الدافع لذلك ، وهذا ما دفع كثيراً من الشعراء المحدثين إلى
560 مجاراة القدماء ، و النهج على منوالهم ، حتى تعدى ذلك إلى انتحال أشعارهم و
561 تتبع معانيهم لكي يرضوا نُقادهم [2] ، و في المقابل كان هناك بعض الشعراء
562 المحدثين ممن رفض الوقوع في أسر الشعراء القدماء فاولعوا بالتجديد والاختراع
563 و البديع ، كأبي تمّام والمتنبي ، و قد كانت العصبية الفنية لهؤلاء الشعراء ، تدفع
564 بأنصارهم وأصحابهم إلى القول " انه أول سابق و انه أصل في الابتداع والاختراع
565 فوجب إخراج ما استعاره من معاني الناس " [3] ، و الحال هكذا أيضاً مع المتنبي
566 [4] ، و هذا دفع بالخصوم إلى رد كل معنى من معانيه إلى أصله أو ما شابهه ، عند
567 الشعراء السابقين عليه ؛ لينفوا بذلك تفرده عمن سواه من الشعراء ، وللردِّ على
568 مغالاة أنصاره ومعجبيه ، بأن شاعرهم ليس بالمبدع وإنما هو متّبع وتابع .
569 كما ارتبطت هذه القضية بمسألة الصراع بين القدماء و المحدثين " فأنصار
570 القديم يسفّهون المحدثين لأن معانيهم مأخوذة من الأقدمين و ليس فيها أي جديد
571 وكان توسعهم في هذا البحث أساس مشكلة السرقات في النقد العربي فقد حاول
572 أنصار القديم أن يجعلوا من هذه السرقات إغارات حقيقة لا ينسب الفضل فيها ،
573 للمتبع فالشعر القديم عندهم هو المثل و النموذج الذي يحتذيه المُحدَث " [5] ، و
574 يتصل بتلك الدوافع اتصالاً مباشراً وعميقاً دافعٌ آخر ، وقضية أُخرى ربما مثلت
575 الشرارة الأولى التي صدرت عنها جميع تلك القضايا وعلى رأسها مسألة السرقات
576 ، و نعني هنا قضية (اللفظ والمعنى) هذه القضية التي شغلت كثيراً من الجهود
577 النقدية على مرِّ العصور الأدبية والعصر العباسي منه على وجه الخصوص ،
578 خاصّة بعد ما أثارهُ الجو الاعتزالي في هذا العصر من خلال اهتمامه بقضية المعنى
579 ، في أثناء اهتمامهم بمسألة إعجاز القرآن [6] فضلا عما أثاره الجاحظ في مقولته
580 المشهورة عن المعاني ، فانتقل البحث من الميدان الديني إلى ميدان الدراسة
581 الأدبية ، فصار السؤال المُلِح الذي يطرح نفسه هو أين يكمن الجمال الفني أفي
582 اللفظ أم في المعنى [7] ، و ما تبع ذلك من توجيه النقاد حينئذٍ إلى رصد المعاني

---

(1) القاضي الجرجاني و النقد الأدبي / 328 .
(2) ينظر : م . ن / 328 – 329 .
(3) الموازنة / 291 .
(4) ينظر : الإبانة ، العميدي / 22 .
(5) مقالات في النقد الأدبي ، د. محمد مصطفى هداره / 64 – 65 .
(6) ينظر : تاريخ النقد ، إحسان عباس / 70 .
(7) ينظر : النظرية النقدية ، د . هند طه / 181 .

583 **المشتركة بين الشعراء وأخذ اللاحق من السابق ... [1] ، وكان ذلك من خلال عقد**
584 **المقارنات والموازنات بين الشعراء للمفاضلة بينهم ومن ثم الحكم عليهم بالإتباع**
585 **أو الإبداع ، لتحديد ذلك الأخذ أهو في اللفظ أم في المعنى " فقسّموا السرقات إلى**
586 **سرقات أسلوبية أو لفظية وأخرى معنوية [2] " ، وخلاصة القول انّ موقف النقاد**
587 **من السرقات يتناسب مع طبيعة موقفهم من قضية اللفظ والمعنى .**
588 **أما الأسباب الشخصية فتتمثل بالعصبية والتحامل بين الشعراء من جهة ، وبين**
589 **الشعراء والنقاد من جهة أخرى ، و كان حظ شاعرنا من هذه النزاعات و**
590 **الخصومات ، أوفر من بقية الشعراء ؛ لأسباب سيرد تفصيلها في أثناء حديثنا عن**
591 **أسباب الصراع النقدي حول المتنبي ، أما خُلاصة ما انتهى إليه النقاد في مجال**
592 **السرقات فهذا ما سنأتي على ذكره في خاتمة بحثنا .**
593 **ونستطيع أن نجزم بعد مطالعتنا لكتب السرقات التي أوردناها بتغير وتطور**
594 **مفهوم السرقة الأدبية ؛ ففي العصر الجاهلي كانت السرقة قائمةً على مبدأ التقليد**
595 **والمحاكاة للسابق ، و قد اتسمت بالبساطة ، فهي لا تتعدى الانتحال و لا يجري**
596 **الشاعر أيّ تغيير فيها ، فضلا عن أنّ النقاد القدامى لم يولوها اهتماماً بارزاً في**
597 **بادئ الأمر ، ومنهم ، الأصمعي ، على سبيل المثال ، فكانت الأحكام عشوائية من**
598 **دون أسس علمية يستندون إليها سوى اتكالهم على أدنى تشابه بين المعنيين دليلا**
599 **على وقوع السرقة .**
600 **إلا إن هذا لا يعني أنّها لم تكن عيباً من عيوب الشعر ومذمة للشاعر ؛ أما في**
601 **العصر الإسلامي و الأموي فبدأت مباحث السرقة تتسع باتساع الشعر نفسه ، فلم**
602 **يعد أخذ الشاعر ينحصر بالشعر فقط بل شمل القرآن و الحديث النبوي .**
603 **و منذ القرن الثالث ظهر تمييز بين نوعين من السرقات مذموم ومحمود ، فبدأت**
604 **السرقة تأخذ منحىً آخر فدخلتها الصنعة الفنية وأصبح لإخفائها و تحويلها إلى**
605 **سرقة محمودة ، أصول وقواعد ، خاصّة بعد انتقالها إلى مباحث علم البلاغة ؛**
606 **فأصبحت خاتمة لمباحثها ، وانتقلت من كونها سرقة محضة إلى مسألة فنية ،**
607 **الغاية منها إقامة صياغة جديدة كما هي الحال عند الآمدي والجرجاني فعلى يد**
608 **هذين الناقدين ازدادت دراسة السرقات عمقاً ، فقد نظرا إلى المعاني فوجداها ثلاثة**
609 **: معنى عام مشترك لا يصحّ إدعاء السرق فيه ، و معنى متداول صار بحكم العام ،**
610 **وإن كان خاصاً أول أمرِهِ ومعنى خاصّا يتفرد فيه صاحبه فقط ، و بذلك كان**
611 **تناولهما لقضية السرقة تناولاً جديداً من خلال تمييز العلاقة بين الكلام بوصفه**
612 **إبداعاً فردياً واللغة بوصفها إرثاً جماعياً .**
613 **ثم سار أبو هلال العسكري على نهجهم في تسويغ السرقة : " ليس لأحد من**
614 **أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم و الصياغة على قوالب من**
615 **سبقهم " [3]**

---

(1) تاريخ النقد ، إحسان عباس / 70 .
(2) تاريخ النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام / 71 – 72 .
(3) الصناعتين / 202 .

616 **فأصبح للسرقات أهمية في الدراسات البلاغية لأنها السبيل الوحيد الذي يوصل**
617 **الناقد لمعرفة إبداع الأديب و مقدرته على الابتكار و مقدار أخذه عن الآخرين و لذا**
618 **لم يهملها البلاغيون في مؤلفاتهم [1] .**
619 **كما أصبح الحديث عنها مرتبطاً بالحركة النقدية حول كل شاعر جديد يُحدث**
620 **تغييراً و انعطافاً في ميدان الشعر العربي كأبي نؤاس و أبي تمّام والمتنبي و ما تبع**
621 **ذلك بالتحري عن أصالة ذلك الشاعر أو تقليده فبلغ مجموع مصطلحات السرقة عند**
622 **النقاد (145) مصطلحاً ، و تعدد المصطلح يشير إلى مستويات مختلفة و كيفيات**
623 **متعددة في إفادة الشعراء من معاني غيرهم من جهة ، كما يشير إلى نمو البحث**
624 **واختلاف مفاهيم النقاد في معالجة هذا الموضوع من جهة أخرى .**
625
626
627
628
629
630
631
632 **المقدمـــة**
633
634 **الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمدٍ ﷺ وآلهِ وصحبهِ أجمعين .**
635 **وبعد .. فكثير هو التراث الذي خلّفته أمتنا ، وألقت عِبء إخراجه على كواهل**
636 **أبنائها ليخدموه كما ينبغي .**
637 **ومما لا شك فيه أنّ الإرث الأدبي و النقدي الخاص بأبي الطيّب المتنبي يُعدُّ من**
638 **أكثر قضايا هذا التراث أهميةً وخصوبةً وتناقضاً !! فقد كان المتنبي ، وشعره ،**
639 **على السّواء ؛ منذ القرن الرابع للهجرة ، حتى يوم النّاس هذا ؛ محور حركةٍ نقديةٍ**
640 **دؤوبة لا تعرف السكون أو الجمود ؛ وليس مردُّ ذلك بطبيعة الحال ، إلا للخصوصية**
641 **التي تميز هذا الشعر مِن شعر غيره مِنَ الشعراء ، على مر العصور الأدبية ، حتى**
642 **أصبح المتنبي ظاهرةً فريدةً في عالم الشعر لا يمكن تكرارها ، أو إغفالها ، ولذلك**
643 **فقد انبرت أقلام النقاد ؛ على مختلف اتجاهاتها ومذاهبها الفنية ؛ ومواقفها المناوئة**
644 **أو المسانِدة للمتنبي ؛ للتصدي لهذا الصرح الأدبي العظيم ، شرحاً ونقداً وتأويلاً ،**
645 **فكان أن جاء الاهتمام بقضية السرقات في شعر المتنبي ، واحداً من الجهود النقدية**
646 **المتنوعة ، التي أخذت على عاتقها دراسة و استقصاء الجوانب الفنية الإبداعية**
647 **التي حققت لهذا الشعر خلوده وسعة شهرته .**
648 **ومع كثرة الدراسات الحديثة التي تناولت شعر المتنبي ، من مختلف جوانبه ؛ إلا**
649 **إنّ ما جاء منها لدراسة (سرقاته) في ضوء النقد القديم ، دراسةً متخصصةً مُلِمّةً**
650 **بجميع الكتب و الدراسات القديمة ، التي تصدت لهذه القضية ، مع التحليل و التعليل**
651 **و المقارنة يُعدَّ نادراً ، و إن وُجِدَ ، فإنه لم يعمل على إيفاء الموضوع حقّه من**
652 **التحليل و الاستقصاء ؛ كما هي الحال مع دراسة د. علي عبد الرزاق السامرائي**

---
[1] ينظر : النظرية النقدية / 249 – 250 .

653 [1] ، التي لا يتعدى عمل مؤلفها فيها ، العرض السريع ، لبعض الكتب النقدية التي
654 تناولت الموضوع ؛ دون الإفاضة في الحديث عن مناهجها ، أو الوقوف على ما
655 جاء فيها من أراء نقدية ، وقفة التحليل و التعليل ؛ فقد اقتصر هدف الدراسة على
656 الإشارة إلى تنبّهِ النقّاد القدامى إلى مسألة أخذ المتنبي أو سرقته من غيره من
657 الشعراء ؛ فضلاً عن القرآن و السّنة . لكننا بالرغم مما ذكرناه ، لا ننفي أية أهمية
658 لهذه الدراسة وحسبها أنها كانت معيناً لنا في التنبّه إلى أهمية تتبع هذا الموضوع ،
659 فضلاً عن أهمية استقصاء جوانبه كافة بالبحث و الدراسة .
660 ومن الدراسات الأكاديمية التي عرضت لهذا الموضوع أو لجُزءٍ منه ، دراستان
661 ؛ الأولى : هي دراسة (العميدي و كتابه الإبانة عن سرقات المتنبي) [2] ، و هذه
662 الدراسة ، و إن لم تتطرق إلى سرقات المتنبي بشكل خاص لكنها ألمّت إلماماً
663 واسعاً بالعميدي و حياته وعصره و ثقافته ، فضلاً عن منهجه النقدي في دراسة
664 سرقات المتنبي في كتابه الإبانة ، فضلاً عن استعراضها لبعض الجهود النقدية التي
665 سبقت العميدي في هذا المجال ، استعراضاً لا يخلو من جهدٍ نقديٍ ، أسهم في
666 إضاءة بعض جوانب الموضوع الذي نحن بصدده ، خاصّة فيما يتعلق منه بالعميدي
667 و كتابه ، الذي يُمثّل ركناً من أركان الموقف النقدي القديم في هذا المجال .
668 أما الدراسة الثانية : فهي " المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي لابن
669 وكيع التنيسي " [3] ، وقد أفادتنا هذه الدراسة أيضاً في إضاءة جوانب كثيرة من
670 شخصية ابن وكيع ، ومن ذلك الحديث عن حياته وعصره و أهم مؤلفاته ، وعلى
671 الرغم من أنّ الدراسة في قسمها الأكبر ، مخصصة لتحقيق كتاب ابن وكيع ، إلا
672 إنّها وقفت وقفةً موجزة بإزاء منهج ابن وكيع في كتابه المنصف ؛ ولا شكّ في
673 إفادتنا منها ، على الرغم من إيجازها . فضلا عن اعتمادنا على كثير من الكتب
674 النقدية القديمة والحديثة التي اتصلت بشكل أو بآخر بموضوع بحثنا ، هذا فضلا
675 عن استعانتنا بكثيرٍ من شروح شعر المتنبي .
676 وبعد ، فقد كان لا بدَّ لنا ، للوقوف على جوانب هذه القضية (سرقات المتنبي في
677 النقد القديم) ؛ مِن تتبع مسيرة تطورها عبرَ الجهود النقدية القديمة ؛ التي تصدّت
678 لمعالجتها ؛ للخروج بصورةٍ واضحةٍ لسرقات المتنبي في ضوء النظرية النقدية
679 القديمة ؛ التي أقرّها النقد القديم نفسه ؛ ومن ثمَّ معالجة هذه القضية في ضوء
680 النظرية النقدية الحديثة ، بوصفها الثمرة الناضجة لخلاصة الجهد النقدي القديم .
681 وقد اقتضى هذا الأمر ، تتبع قضية السرقات تاريخياً وفنياً ؛ ذلك أنّ الاستعانة
682 بالتاريخ ومؤثرات العصر ، تعيننا بلا شك في استجلاء جوانب هذه القضية و
683 الكشف عن أبعادها .
684 أما الجانب الفني ، ففائدته تتجلى في الكشف عن قدرة النقد القديم على رصد
685 مختلف القضايا النقدية ، ومسيرة تطورها من خلال اعتماده على المقارنات و
686 الموازنات ، فضلاً عن خاصّية التحليل و التعليل ؛ و لذلك فقد كان المنهج التاريخي

---

[1] ينظر : السرقات الأدبية في شعر المتنبي ، د. علي عبد الرزاق السامرائي .
[2] رسالة ماجستير للباحثة شذا زاهد محمد صالح ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1974 .
[3] ت : حمودي زين المشهداني ، جامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، 1980 .

687 الفني عِماد مسيرتنا في هذه الدراسة التي جاءت على ثلاثة فصول مهدّنا لها
688 بحديثٍ عن تطور مفهوم السرقة الأدبية بين النقاد و الشعراء و البلاغيين ، على
689 مرِّ العصور .
690 وقد جاء المبحث الأول من الفصل الأول : البيئات النقدية وأثرها في تتبع سرقات
691 المتنبي بدءاً من حلب ومروراً بمصر و بغداد وانتهاءً بفارس ، لتتبع تطور قضية
692 سرقات المتنبي في البيئات النقدية المختلفة التي مرّ بها الشاعر ؛ فضلاً عن
693 عرضنا لأهم الدوافع التي أدّت إلى شيوع هذه الظاهرة (عامةً) وخصّ شعر
694 المتنبي بجزءٍ وافرٍ منها خاصّة ، وذلك في المبحث الثاني لهذا الفصل الموسوم بـ (
695 الصراع النقدي حول المتنبي أسبابه و دوافعه) .
696 أمّا الفصل الثاني ، فقد عرضنا فيه لسرقات المتنبي في التراث النقدي القديم ،
697 أي كيفية دراسة النقد القديم لسرقات المتنبي وقد جاء تتبعنا لهذه المسألة في ثلاثة
698 مباحث ؛ تناول الأول : سرقات المتنبي عند شرّاح ديوانه ، بوصفها من أوائل
699 الكتب التي أوقدت شرر الدراسات حول سرقات المتنبي ؛ أما المبحث الثاني فقد
700 عرضَ لسرقات المتنبي في الكتب النقدية العامّة ؛ ومن ثمّ عرضنا في المبحث
701 الأخير للكتب النقدية الخاصّة ، التي اختصت بذكر سرقات المتنبي دون غيرها من
702 جوانب شعره .
703 أمّا الفصل الثالث ، فقد عملنا في المبحث الأول منه على استبطان عناصر
704 النظرية النقدية القديمة من خلال الوقوف على أهم الأفكار التي طرحها النقد العربي
705 القديم حول قضية السرقات ، وجعل هذه الأفكار معايير في تحديد سرقات المتنبي ؛
706 وتحليلها على وفق رؤية النظرية القديمة ومعطياتها ، ثم معالجتها في المبحث
707 الثاني في ضوء النظرية النقدية الحديثة بوصفها الثمرة الناضجة لبذرة النقد القديم
708 .
709 وقد صدّرنا الدراسة بهذه المقدمة الموجزة ، التي عرضنا فيها أسباب اختيارنا
710 موضوع الدراسة ، وأهم الجهود التي سبق وأن تناولته بالبحث والنقد ، فضلاً عن
711 تعريفنا بالمنهج الذي سرنا عليه (وهو المنهج التاريخي الفني) ، والذي بموجبه
712 تمّ تقسيم الدراسة على ثلاثة فصول ، سبقها تمهيد ؛ وتلتها خاتمة أوجزنا فيها أهم
713 ما توصلنا إليه من نتائج ، نرجو أن نكون قد ابتعدنا فيها ، عمّا وقع فيه بعض
714 دارسي شعر المتنبي ، من إفراط أو تفريط .
715
716 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
717
718
719 و الله وليّ التوفيق
720 الباحثة
721
722
723
724

725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740

741 **مدخل لدراسة البيئات النقدية في القرن الرابع هـ**

742

743 **تشير أغلب المصادر التاريخية التي وصلتنا ، في العصر العباسي الثاني بأنه**
744 **كان عصر تدهور الدولة العباسية ، وضعف سلطة الخلافة العربية [1] ، عصر**
745 **انقسمت فيه الأمصار إلى دويلات ممزقه إثر النزعات السياسية [2] ، التي خلَّفتها**
746 **حالة التمزق ؛ التي أخذت تنخر في جميع مفاصل الخلافة العباسية ، وكان من**
747 **البديهي ، ألا يقتصر هذا التدهور على الجانب السياسي فحسب ، لكنه امتدّ ليشمل**
748 **مناحي الحياة المختلفة ، والاجتماعية منها خاصة ، و يمكننا أن نستشفَّ هذا من**
749 **قول أحد الباحثين وهو يصف أحوال المجتمع العراقي في القرن الرابع للهجرة : "**
750 **لقد تميَّز القرن الرابع بشراسة الطبقة المستغلة فإن ضاق الأمر بالخليفة ، صادر**
751 **الوزير ، وإن ضاقت يد الوزير صادر تاجراً أو إقطاعياً أو وزيراً سابقاً ؛ ولو كان**
752 **من أصدقائه " [3] ، ومن هذا المنطلَق الاستغلالي ، كانت تصدر سياسية الدولة**
753 **المضطربة ، التي يسودها سوء الظن .وتمثلت بأساليب الوقيعة ، وتحيُّن الفرص ؛**
754 **فكان كل واحد من المتنفذين والأثرياء ، يستطيع بلوغ مطمعِه السياسي ببذل المال**
755 **، وقد حدثت أيام البويهيين ، على الرغم من قسوةِ الحكّام ، تمرُّداتٍ حادّة بين**
756 **العامة ، كان باعثها الأول سوء الأحوال الاقتصادية [4] وكان من الطبيعي أيضاً ،**
757 **في ظل هذا التدهور السياسي والاقتصادي ، أن يكثر الانحراف الاجتماعي ؛ وقد**
758 **عمدت الدولة البويهية ، في محاولة منها لامتصاص ذلك التمرد والانحراف ، إلى**
759 **الاهتمام بالثقافة والأدب ، لبسط سيطرتها ، وسيادة كلمتها ، وإعادة الاستقرار**

---

[1] ينظر : الكامل لابن الأثير / ج 6 : 315 وينظر : دراسات في تاريخ الحضارة العربية ، د. خاشع المعاضيدي وأخرون ، مطبعة
واوفسيت الحديثي / 1979 .
[2] الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، د .فيصل السامري / ج. 252 : 2
[3] المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة ، عبد اللطيف عبد الرحمان الراوي/ 23 .
[4] المصدر نفسه / 27 .

760 **لنفوذها .. [1] لقد أدى التنافس بين أصحاب السلطة ، إلى التسابق ، في محاولةٍ**
761 **لاسترضاء أهل العلم والأدب " ومن فاتَتهُ منهُم سِعةُ الرِّقعَةِ ، لم تَفُتهُ سعةُ**
762 **الشهرة وبُعد الصيت ، وعِظم الجاه ، وسبيل ذلك كلّه شعر الشعراء ، وأدب الأدباء**
763 **، واختيار عظماء الرجال من قادة الفكر ، وذوي الفطنة والرأي ، ليكونوا قضاة**
764 **عدولا أو وزراء أكفّاءَ [2] " ؛ الأمر الذي أدى ، بالضرورة إلى ازدياد عدد**
765 **البلاطات والقصور بازدياد الدويلات والإمارات ، و كان لا بدّ لها من أن تستدرج**
766 **من يزورها ، ويملأها حديثاً ومناقشه وقصائد . و هكذا فقد كانت حاجة الأمراء**
767 **والخلفاء إلى الأدب والشعر ؛ ليحمل أسماءهم عبر الآفاق ، ويخلّد ذكرهم في**
768 **صفحات التراث الأدبي ؛ تماماً كحاجة الشعراء والأدباء والعلماء إلى عطايا أولئك**
769 **الأمراء ، وجوائزهم ؛ فهي إذاً حاجة طرفين ، لا يمكن لأحدهما ، الاستغناء عن**
770 **صاحبه .**
771 **وكان من البديهي ، مع زيادة عدد الشعراء ، أن يصبح التنافس والتحاسد ركيزةً**
772 **من ركائز الشخصية الأدبية ، في ظل عصرٍ ينوء أهلُهُ تحت كاهلِ الأحوال**
773 **الاقتصادية المتردّية ، مما قوّى نزعة الظهور والشهرة في نفوس الأدباء ، فراحوا**
774 **يتبارَون في الحصول عليها [3] ، في كنف دولةٍ تحسنُ تقدير الأدباء ؛ تماماً كما**
775 **تحسن استغلالهم ، لتحقيق مآربها.**
776 **وفي ظل كلّ تلك المتناقضات ، وفي ظلّ كلّ ذلك التدهور والتردي ، وُلد المتنبي ،**
777 **ونشأ وترعرع ، فكانت هذه البيئة ، جزءاً مهماً من مكونات شخصيته ، شاء ذلك أم**
778 **أبى ؛ وليس من الصعب بمكان أن يتلمس الباحث أو الدارس ، البصمات الواضحة**
779 **، التي تركتها هذه البيئة المتناقضة في شخص المتنبي وشعره على حدٍ سواء ،**
780 **حتى أصبح همُّة الأول ؛ الذي وظف جُلّ طاقاته الإبداعية له ؛ أن يحقق لنفسه ،**
781 **من المكانة الاجتماعية ما يضمن له ، عيش الكرامة و الأنفة ، و من المؤكد لدينا**
782 **أنّ المتنبي ، قبل ذلك شغله هم هذه الأمة الممزقة [4] ؛ فطمح إلى تغييرها ، ولعله**
783 **لذلك طلب المُلك أو حاولَه ؛ لكنّه سرعان ما شغلتهُ هموم نفسه ومطامحها عن ذلك**
784 **الهدف فلم يعد يطلب الملك إلا للمُلك ؛ ولعلّ ما أثار حفيظة معاصريه عليه ، أنّه**
785 **على علوِّ ما كان يطلب ؛ وعلوّ ما أصاب من مكانه ومال وشهره ، لم يكن يقدّم بين**
786 **يدي ذلك كلة إلا التعالي والكبرياء ، ومقارنة نفسه بالممدوح ، دون التذلل**
787 **والتمسح بأقدام الملوك والخلفاء [5] ، الشيء الذي كان ديدنَ معظم الشعراء**
788 **والأدباء في ظل دولة بني بويه ، والقرن الرابع هـ خاصة ، هذا كلّه ، وأسباب**
789 **أخرى ، أوقدت شرر الحملة العدوانية ضده ؛ ولما لم يكن ، في معظم الأحيان ، أمام**
790 **خصومه بدٌّ أو سبيل ؛ للنيل من مكانة الشاعر الفنية ، فقد كانت تهمة السرقة**
791 **الأدبية ، الوسيلة الأكثر فاعلية ، في تلك المعركة النقدية ؛ حتى أصبحت ظاهرة**

---

(1) ينظر : الأدب في ظل بني بويه ، د .محمود غناوي الزهيري / 122 .
(2) القاضي الجرجاني و النقد الأدبي ، عبد قلقيلة / 116 – 117 .

(3) ينظر : التطلع القومي عند المتنبي ، جاسم محسن عبود / 31 .
(4) ينظر : التطلع القومي في شعر المتنبي / 75 – 86 .
(5) ينظر : الصبح المنبي ، يوسف االبديعي / 71 .

792 السرقة الأدبية ، في شعر المتنبي ، من أكثر ما يثيره عليه خصومه من تُهم ،
793 فضلاً عن تتبعِهم سقطاتِه ، وعيوبِ شعره .
794 وليس هناك من شك في أنّ دولة بني بويه ، التي كانت تقدِّرُ الأدب ، وتُحسن
795 استغلاله ، كما قلنا ، كانت تقف وراء كثير من الحملات الدعائية ضد المتنبي ، ولم
796 تكن تألوا في ذلك جهداً ، خاصة لأن المتنبي أثبت تفرُّدَه في ساحة الشعر ، ولم
797 يكن أمراء بني بويه يملكون ، مَن يفوقه مِن الشعراء أو يضارعَه [1] .
798 وقد عُرف عصر المتنبي بأنه عصر الصراعات القومية ، بين مختلف الجنسيات
799 [2]، وكان من الواضح أنّ ثورة المتنبي على فساد الأوضاع السائدة ، وفساد
800 الحُكّام ، الذين لم تتوافر فيهم شروط الحاكم الصالح أو العادل ، كانت تنبع عن
801 طبيعة هذا العصر ؛ الذي افتقر إلى الحاكم المثال [3] ، الذي وجد له نموذجا في
802 ممدوحه) علي ابن إبراهيم - : [4]

803 من طلب المجد فليكن كعليّ	يهبُ الألف و هو يبتسمُ
804 ويطعن الخيل كل نافذةٍ	أبى لها من وحائها المُ
805 ويعرفُ الأمر قبل موقعهِ	فما له بعد فعله ندمُ
806 والسطوات التي سمعت بها	تكاد منها الجبال تنقصمُ

807 ويبدو من هذه الأبيات ، افتقار حكام عصره إلى : الكرم ، والشجاعة والمروءة
808 ، والحكمة والتدبُّر ..
809 وربّما من أجل ذلك ، وغيره ، لم يعرف المتنبي الإستقرار والسكون في مكان
810 ثابت ، فكان دائم التنقل والترحال ، تارةً وراء أحلامه وطموحاته ، وتارةً هربا
811 ونجاةً بعنقه من كيد الكائدين ، الذين أصابهم من وبال لسانه ما أصابهم !! وتارةً
812 طلباً للعلم ورغبةً في لقاء العلماء والتزوّد مِن زادهم . وهو مع ذلك كلّه ، يخّلف في
813 كلّ بقعةٍ ينزلها ، بذرةً في ساحة النقد الأدبي ، إن لم تثمر في أوان وجوده ، فإنّها
814 بلا شك آتت ثمارها بعد حين .
815
816
817
818

---
[1] ينظر : الرسالة الحاتميّة ، أبو علي الحاتمي / 7 .
[2] ينظر : التطلع القومي / 17 – 22 .
[3] ينظر : موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ، د .زهدي صبري / 114 .
[4] شرح ديوان المتنبي / ج4 : 181 – 182 .

819 **بيـــئة حــلب**

820

821 لعلنا لا نكون مُجانبين للصواب إذا قلنا ان الدور الذي لعبته بيئة حلب في حياة
822 شاعرنا المتنبي يُعدّ من أهم الأدوار أو المراحل التاريخية ، التي مرّ بها المتنبي ؛
823 مع تنوع ظروف نشأته واختلافها ، و هذا الدور المهم الذي لعِبته هذه البيئة (
824 مكانياً) ، و المرحلة (زمانياً) ، كان له تأثيره ، يمكن رصده بوضوح ، في
825 شخص المتنبي وحالته النفسية من جهة ، وشعر المتنبي وأدائه الفني من جهة
826 ثانية [(1)] .
827 ولأننا غير معنيين ، في هذه الدراسة ، بشخص المتنبي إلا بالقدر الذي يُعين أو
828 يُسهم في إضاءة الجانب الفني لشعره ؛ فسنوجه جُلَّ اهتمامنا إلى تأثير هذه البيئة
829 في شعر المتنبي ، من خلال تتبعها ورصدها لقضية السرقات في شعره ، فضلاً عن
830 العوامل التي أسهمت في رصد هذه القضية النقدية ، وبيان ما تركته من آثار في
831 البيئات النقدية الأخرى التي تلتها .
832 وربما يظهر تأثير هذه البيئة , في مجالَين مهمَين من مجالاتها : السياسي
833 والثقافي ؛ أما المجال السياسي فإننا نقف في بيئة حلب بإزاء دولة بني حمدان ,
834 التي بدأت حكمها في حلب إثر دخول علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان
835 الملقب بسيف الدولة الحمداني , بعد أن انتزعها من محمد بن طغج الإخشيدي ،
836 وهو أحد ولاة الإخشيديين بعد الضعف الذي أصاب ولايته في حلب عام (333) هـ
837 [(2)] .
838 وقد خرج سيف الدولة في صراعه مع الإخشيديين منتصراً وأقام له ملكاً في
839 سوريا بعد معاهدة الصلح التي عقدها معهم , التي نصّت على أن يبسط الأمير
840 الحمداني سلطانه على سوريا الشمالية , وتشمل ، حمص , وحلب , وحماة , ومنبج
841 وإنطاكية ولم يلبث سيف الدولة أن أحسن استغلال البلاد , فجمع ثروة طائلة خلال
842 غزواته مع البيزنطينين, التي كان يعود فيها بالغنائم مما زاد الترف و الرخاء في
843 حلب ، وأتاحَ له ان ينفق على بلاطه وحروبه عن سعة ، فاعتنى بالأدب و العلوم
844 والشعر [(3)] .
845 وقد ذاع صيت الأمير الحمداني حتى أصبحت صورته تتّصل بصورة (البطل
846 المثالي) في شعر المتنبي ، فضلاً عن باقي شعراء البلاط الحمداني ، وقد عُرف
847 هذا الأمير بذوقه الرفيع و توافره على نصيب من علوم اللغة و الأدب وأصول
848 البلاغة و البيان ، وإن لم ينفرد وحده من بين أمراء بني حمدان بهذه الخصال ؛
849 لكنه تميّز بكثرة اهتمامه في هذا المجال [(4)] .
850 وقد كان لبلاط بني حمدان صيت واسع في مجال الثقافة و الأدب والشعر خاصة
851 ، مما جعل الشعراء و الأدباء والمفكرين ، من كل حدبٍ ينسلون ؛ قاصدين ذلك

---

(1) ينظر : المتنبي وأزمة الرحيل عن حلب ، قراءة نقدية و نفسية ، د .ابتسام قطوس ، مجلة آداب الرافدين ,عدد 4 سنة 1992 / 245 – 223 .
(2) ينظر : الكامل ، ابن الأثير / ج 6 : 312 .
(3) يتيمة الدهر ، الثعالبي / ج1 : 32 .
(4) ينظر : يتيمة الدهر / ج1 : 88 .

852 **البلاط ، الذي كان أشبه بحلبات السباق وميادين التباري ، التزلف إلى الأمراء**
853 **لخطب ودّهم ، واستدرار أموالهم و العيش تحت كنفهم ، عيش الرغد والسعة ، وقد**
854 **فتح سيف الدولة أبوابه لكل عالم ، حتى أنه " لم يجتمع قطّ بباب أحدٍ من الملوك**
855 **بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ... وكان سيف الدولة**
856 **أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدُح به [(1)] " .**
857 **ولا نذهب بعيداً إذا قلنا بأنّ شهرة سيف الدولة ربما امتدت مع امتداد شهرة**
858 **بلاطه ، كما أن العكس صحيح ؛ ولعل مشاركة سيف الدولة لمرتادي بلاطه من**
859 **علماء وشعراء وغيرهم ، الآراء والمناقشات , خاصة الأدبية منها ؛ ألقى على مثل**
860 **هذه المناقشات مزيداً من الحيوية ونفخ في روحها جذوه التنافس والتفاخر ,**
861 **والاجتهاد في تحصل الإبداع و الأصالة في الرأي والقول , واكتساب التميُّز في**
862 **زحمة الجمع الغفير بين يدي رجل عالم بأصول وأحكام تلك الفنون و العلوم [(2)] ،**
863 **حتى قيل أنه كان يدير دفة الحديث في المجالس الأدبية واللغوية ؛ وكان لسيف**
864 **الدولة القدر الوافر من هذه النقاشات ، وهي تنم عن تمرس في مجال الإبداع**
865 **والشعر ، حتى أن المتنبي ، وهو من أشهر شعراء عصره ؛ إن لم يكن أشعرهم**
866 **على الإطلاق , لم يسلَم من نقد سيف الدولة , وملاحظاته حول شعره صياغةً**
867 **ومضموناً [(3)] ، وقد قيل أنّ المتنبي كان يستعدُّ استعداداً , ويتهيأ أيما تهيؤ عند**
868 **دخوله إلى بلاط الأمير ، لعلمه بما ينتظره فيه من تحدِّيات [(4)] ، كان أشدها تلك التي**
869 **تصدر عن نفوس خصومه الموغلة بالحقد والحسد لشخص المتنبي ، وفنّه على**
870 **سواء ، وهم بذلك يتميزون عمّا كان يلاقيه المتنبي من سيف الدولة ، وبعض**
871 **أنصاره و أصحابه ، من نقاشات موضوعية لا غرض لأصحابها سوى التبسط**
872 **والتعمق في فهم الأدب و تذوّقه ؛ فعلى الرغم من كل ما كان يواجه المتنبي من**
873 **خصومه و أعدائه ؛ فقد كان له معجبون ، انكبوا على الاستماع إلى شعره ،**
874 **محاولين الكشف عن مواطن الإبداع فيه ، وشرح ما غَمُض من معانيه ، وتسويغ**
875 **ما جاء غريباً شاذّاً منها ، وقد تعرض المتنبي للنقد مع أول قصيدة ألقاها في بلاط**
876 **سيف الدولة بحلب ، والتي مطلعها :**
877 **وفاؤكما كالربع أشجاهُ طاسِمُه بأن تُسعِدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهْ [(5)]**
878 **فقد أثار هذا البيت اللغز كثيراً من الجدل والنقاش بين شرّاح شعره وناقديه ، بما**
879 **احتواه من تعقيد و التواء ، ولعله أراد أن يُغرب على من في حاشية سيف الدولة**
880 **من اللغويين ، أمثال ابن جني وأبي علي الفارسي وأبي الطيب اللغوي وابن خالويه**
881 **، الذي كان كثيراً ما يتصدى للمتنبي مناقشاً ومجادلاً على ما في شعره من الإغراب**
882 **والتعقيد [(6)] ؛ وقد كان لسيف الدولة قبل وفود شاعرنا المتنبي عليه شعراءَ كثُرٌ ؛ إذ**
883 **كان يجتمع لديه " ما لم يجتمع لغيره من الملوك فقد كان خطيبه ابن نباته الفارقي**

---

(1) م . ن / ج1 : 11 .
(2) ينظر : يتيمة الدهر / ج1 : 33 - 35 ، وينظر : الدولة الحمدانية / 35 .
(3) ينظر : الصبح المنبي ، يوسف البديعي / 84 – 85 .
(4) ينظر : مع المتنبي ، طه حسين / 189 ، 190 .
(5) شرح ديوان المتنبي ، البرقوقي / ج4 : 43 .
(6) ينظر : ليس في كلام العرب ، ابن خالويه / 150 .

884 **، ومعلمه ابن خالويه ، ومطربه الفارابي ، وطبّاخه كشاجم ، وخزان كتبه الخالديان**
885 **)أبو بكر و أبو عثمان (، والصنوبري ، ومدّاحه السّلامي والوأواء الدمشقي**
886 **والسرّيّ الرفاء والنامي ، وابن نباته السعدي [1] ؛ فضلاً عن ابن عمه الشاعر**
887 **الفارس أبي فراس الحمداني [2] ؛ إلا ان رياح الخصومة اشتدت على شاعرنا أول**
888 **الأمر من جهة الشاعر النامي ؛ الذي احتل المتنبي مكانته الأثيرة عند سيف الدولة**
889 **، حتى بلغت به علو مكانته عنده ألا ينشد الشعر بحضرته إلا قاعداً ، وأن لا يتكلف**
890 **تقبيل الأرض بين يديه [3] ؛ مما حدا بالنامي [4] إلى تأليف رسالة يتعقب فيها أخطاء**
891 **المتنبي وهي رسالة لم تُشر إليها المصادر ؛ ولولا أن ابن وكيع التنيسي أتى على**
892 **ذكرها في المنصف لما عرفنا شيئاً عنها [5] " ، وأبو العباس الدارمي المعروف**
893 **بالنامي هو " شاعر من خواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في**
894 **الرتبة والمنزلة " [6] وربما يكون النامي بذلك أول من تتبع عيوب المتنبي برسالةٍ**
895 **مكتوبةٍ ، على انّه ، على الرغم من ذلك ، لم يجد مفراً من الإقرار بمنزلة المتنبي ،**
896 **وهذا ما يشير إليه يوسف البديعي فيما يروى من دخوله ذات يومٍ معاتباً على سيف**
897 **الدولة بقوله " : أيّها الأمير ، لِمَ تفضّل عليّ ابن السقا ؟ !فامسك سيف الدولة عن**
898 **جوابه ؛ فألحّ و ألحّ وطالبه بالجواب ، فقال لأنك لا تحسنُ أن تقول كقوله :**
899 **يعودُ من كلّ فتحٍ غيرَ مفتخرٍ وقد أغذَّ إليه غير محتفلِ [7]**
900 **فنهض أبو العباس مغاضباً وفي نيّته ألا يعود إلى مدح سيف الدولة " [8] ،**
901 **وبعد ذلك نراه يقول مذعناً " كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ، وقد كنت**
902 **أشتهي أن أكون سبقته إليه في معنَيَين قالهما ، ما سُبق إليهما ؛ هما قوله : [9]**
903 **رماني الدهرُ بالأرزاءِ حتّى فؤاديَ في غِشاءٍ مِن نبالِ**
904 **فصِرتُ إذا أصابَتني سِهامٌ تكسَّرَت النِّصالُ على النِّصالِ [10]**
905 **ويروي المؤرخين أن النامي كانت له الكثير من المساجلات ، والمعارض**
906 **الشعرية والنقدية مع المتنبي [11] ، وهذه المساجلات كانت تهدف في الأساس إلى**
907 **الإزراء بمكانة المتنبي الفنية عند سيف الدولة الحمداني ، ولمّا لم يكن في وسع**
908 **النامي ، وكثير من خصوم المتنبي ، القدرة على إقناع الأمير بتلك التهم ، ذلك لما**
909 **يمتلكه سيف الدولة من ذوق فني ، يمكّنه من معرفة الجيد من الرديء من جهة ؛**
910 **وامتلاك المتنبي لأسباب التفوق و الإبداع الفني من جهة أخرى ، لم يجد أولئك**
911 **الخصوم غير ذريعة السرقة يلصقونها بالمتنبي ، لينالوا من مكانته عند سيف**

---

(1) يتيمة الدهر / ج1 : 24 – 31 .
(2) ينظر في محيط النقد الأدبي ، د. ابراهيم علي أبو الخشب / 196 .
(3) ينظر : الصبح المنبي / 71 .
(4) هو أبو العباس احمد بن محمد الدارمى المصيصى المعروف بالنامى , وفيات الاعيان / ج 1 ، 152 .
(5) تاريخ النقد ، د. إحسان عباس / 271 .
(6) يتيمة الدهر / ج1 : 241 .
وينظر كذلك : شعراء سيف الدولة الحمداني ، د .صبيح رديف / 25 .
(7) شرح ديوان المتنبي / ج3 : 157 .
(8) الصبح المنبي : يوسف البديعي / 80 - 81 .
(9) ينظر : م . ن / 81 .
(10) شرح ديوان المتنبي / ج3 : 141 .
(11) ينظر : وفيات الأعيان / ج1 : 125 .

912 الدولة ، من خلال سلبه سمة الإبداع و الأصالة ؛ وهم بذلك يذعنون لقوة و جمال
913 الشعر الذي يقوله ؛ لكنهم يحاولون سلبَهُ فضل ذلك الإبداع و القوة الفنيّة ؛ ليجعلوا
914 منه لصّاً محترفاً لصنعة السرقة ، بارعاً فيها ، في أحسن الأحوال " [1] .
915 وربما كان هذا الأمر ، سبباً رئيساً وراء محاولة إشاعة تهمة السرقة في شعر
916 المتنبي ، ولشدة إمعان الخصوم ، نراهم يبلغون حد الإسراف في تعقب سرقات
917 المتنبي ، مغمضين عيونهم عن جانب الإقناع الفني ، فأصبحت التهم تُرمى جُزافاً ،
918 أمام مرأى ومسمع بلاط الأمير الحمداني [2] ، ومن ذلك ما ترويه لنا المصادر عن
919 هذه الحادثة التي حصلت مع المتنبي وهو يلقي قصيدته المعروفة : واحرَّ قلباه ممن
920 قلبُه شبِمُ [3] .
921 فيروى " : ان أبا فراس لمّا أحس بتمكن منزلة المتنبي ، عند عمه سيف الدولة
922 الحمداني ، أراد أن يكيد له وأن يباعد ما بين الاثنين ؛ فاستحضر بين يدي سيف
923 الدولة عشرين شاعراً أو أكثر ، وقال له : هؤلاء يمدحونك ولا يأخذون مجتمعين
924 أكثر مما يأخذه المتنبي منفرداً " [4] ، فقرر المتنبي الدخول على سيف الدولة
925 بمحضر من أبي فراس الحمداني ، وأخذ ينشده قصيدته الميمية ؛ فلمّا وصل إلى
926 قوله : يا أعدل الناس إلا في معاملتي .... ، انبرى له أبو فراس .. مدعياً عليه الأخذ
927 والسرقة ، قائلاً له : مسختَ قول دِعبل وادّعيته وهو :

928 لستُ أرجو انتصافاً منكَ ما ذَرفت عيني دُموعَاً وأنتَ الخصمُ الحَكَمُ

929 فقال المتنبي:

930 أُعيذها نظراتٍ منكَ صادقةً أن تحسَب الشَّحمَ فيمن شَحمُهُ ورمُ [5]

931 فعلِم أبو فراس أنه يقصده ؛ فقال : ومن أنت يا دَعيّ كِندة حتى تأخذ بأعراض
932 أهل الأمير في مجلسه ؟ ، واستمر المتنبي في إنشاده دون أن يُعيرَ أبا فراس بالاً ،
933 متخذاً من الشعر وسيلة ناجعة للدفاع عن نفسه :

934 سيعلمُ الجمعُ ممّن ضمَّ مجلِسُنا بأني خيرُ من تسعَى بهِ قدَمُ
935 أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعَت كلماتي من بهِ صَمَمُ [6]

936 فزاد الأمر غيضاً في نفس أبي فراس ؛ فقال له سرقت هذا من عمرو بن عروة
937 العبد في قوله:

938 أوضحتُ من طُرُق الآداب ما اشتكلت دهراً وأظهرتُ إغراباً وإبداعاً
939 حتى فتحتُ بأعجازٍ خُصِصتُ به للعمى والصمّ أبصاراً وأسماعا

940 فلما وصل المتنبي إلى قوله:

941 وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرهِ إذا استوت عندَهُ الأنوارُ والظُلَمُ [7]

942 قال أبو فراس : سرقت هذا من معقِل العجلي:

---
(1) ينظر : الصبح المنبي / 87 – 92 .
(2) ينظر : م . ن / 87 ، 92 .
(3) شرح ديوان المتنبي / ج4 : 80 .
(4) الصبح المنبي / 87 .
(5) شرح ديوان المتنبي / ج4 : 83 .
(6) م . ن / ج4 : 83 .
(7) شرح ديوان المتنبي / ج4 : 83 .

943 **إذا لم أميز بين نورٍ و ظلمة بعيني فالعينان زور و باطلُ**

944 **ولمحمد بن أحمد بن مرة المكي[1] مثله ، وهو:**

945 **إذا المرءُ لم يدرك بعينيهِ ما يُرى فما الفرقُ بين العُمَى والبُصراء**

946 **وعندها غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة ، فقال المتنبي:**

947 **إن كان قد سرّكم ما قالَ حاسِدُنا فليسَ لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ [2]**

948 **فقال أبو فراس : أخذت هذا من قول بشّار [3] .....**

949 **وهذه الرواية ؛ إن صحت ، فهي كما يقول مندور " :تحتفظ بدلالاتها العامة التي**

950 **تعزز كل ما سبق أن رأيناه من إمارات نشاط النقد في بلاط سيف الدولة ، وفي نقد**

951 **شعر المتنبي بوجه خاص " [4]**

952 **وإذا وقفنا وقفة تأمل عند هذه الحادثة ؛ بوصفها نموذجاً من النماذج النقدية ،**

953 **التي كان المتنبي يتعرض لها ، ولاسيّما في قضية السرقات ، في بيئة حلب ، مع**

954 **قياس ما شاكلها عليها ، بغض النظر عن صحة وقائعها ، نستطيع استنتاج أمور**

955 **عدّة:**

956 **1- معظم تلك المحاكمات ، إن لم يكن جميعها ، يغلب عليها طابع العفوية أي**

957 **أنها تحدث بصورة مفاجئة ، لم يكن الطرفان قد أعدّا إعدادا مسبقا لها ، فأبو فراس**

958 **الحمداني لم يكن عالماً بما سيلقيه المتنبي بين يدي الأمير ؛ لكنه بطبيعة الحال كان**

959 **قد أعدّ العدة للهجوم على شعر المتنبي بغض النظر عن قيمة هذا الشعر وجودته**

960 **أو رداءته ؛ كما أن المتنبي ، كان مستعدا ، كما هي الحال في كل مرة يدخل فيها**

961 **بلاط الأمير لمواجهة الخصوم ونقدهم ، دون أن يعلم أن النقد أو الهجوم سيطال**

962 **هذا البيت أو ذاك المعنى أو ما سواه من شؤون القريض فيهيئ تله جواباً مسبقاً**

963 **أو دفاعاً متقناً.**

964 **وقد ترتب على ذلك أن امتازت هذه المحاكمات بالتعصب وإهمال النقاش العلمي**

965 **الموضوعي ، فأبو فراس يلقي التهم جُزافاً ومن دون إعمال فكر ! وهو ينظر إلى**

966 **الأبيات نظرةً جزئيةً عمادها اقتطاع البيت من سياقه العام ، وغض البصر عن**

967 **جوانب الصياغة ، ومواطن إبداع الشاعر ؛ وهذا التسرع جعل أبا فراس ، على**

968 **سبيل المثال ، يتهم المتنبي بسرقة قول دعبل : ولست أرجوا " ... بقوله " : يا**

969 **أعدل الناس وبين القولين فرق كبير يتسع باتساع رقعة الخلاف بين ظروف كل من**

970 **الشاعرين وظروف المخاطبين " : فدعبل حزين باكٍ والمتنبي ، برغم معرفتنا**

971 **للظروف الأليمة التي قال النص تحت تأثيرها ، لا نلمح في بيته إمارة الدمع ولا**

972 **نسمع منه رجع الأنين ، ودعبل ينفي رجاءه الأنصاف من مخاطبه ربما لأن**

973 **المخاطب يعري عنه أصالة ، أو لعجزه عن تحقيقه في هذا الموقف بالذات ... أما**

974 **المتنبي فانه يلح ويلح في طلب هذا الإنصاف و الانتقام من الخصوم " [5] ...**

---

[1] وهو شاعر متوكلي يلقب بشمروخ ، وأكثر شعره في الغزل .
[2] شرح ديوان المتنبي / ج4 : 87 .
[3] ينظر : الصبح المنبي / 88 – 93 .
[4] النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور / 174 .
[5] المتنبي بين ناقديه : عبد الرحمن شعيب / 208 .

975 **ونحن نتفق مع الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب بان الشاعرين لم يلتقيا إلا في**
976 **قولهما : أنت الخصمُ و الحكمُ ؛ وحتى إن كان المتنبي آخذاً من صاحبه ، كما يزعم**
977 **أبو فراس ، فقد أضاف إلى القول ما زاده بهاءً .**
978 **وما جعله يعبر عن موقفه الذاتي وشعوره النفسي الخالص ، في ذلك الوقت ؛**
979 **فنحن ان وافقنا أبا فراس على أنها سرقة فهي لابدّ مما يدخل في باب السرقة**
980 **المحمودة لا (المسخ)، كما ادّعى أبو فراس.**
981 **هذا ما كان من مواجهة الشاعر أبي فراس الحمداني ، أقوى المنافسين ، في**
982 **ميدان الخصومة لشاعرنا المتنبي ، هذا الميدان الذي كان يضجُّ بخصوم آخرين ، لا**
983 **يقلون خطراً ولا حقداً على شاعرنا ، ونقصد منهم ابن خالويه ، معلم سيف الدولة ،**
984 **ومؤدب أولاده [1] ، فقد كان بين ابن خالويه ، والمتنبي كثيراً من المناظرات**
985 **والمساجلات ، التي تدل على تجنّي ابن خالويه على المتنبي وحسده له ، وحرصه**
986 **على الغضّ من منزلته عند سيف الدولة ، ومن أبرز هذه المناظرات ، تلك التي**
987 **حدثت مع ابن خالويه عندما ألقى المتنبي قصيدته : وفاوَكُمَا كالربع أشجاهُ طاسِمُه**
988 **.. [2]**
989 **حين حمله هواه ، وتسرّعه على انتقاد المتنبي ورميه بالخطأ ، معترضاً على**
990 **قوله (أشجاه) ، قائلاً له " : تقول : أشجاه وهو شجاه ؟ لأنه إذا جاء المتعدي**
991 **من الثلاثي لا يجوز المجيء به من غيره بتعديته بالهمزة أو التضعيف ، فردَّ عليه**
992 **المتنبي : اسكت ليس هذا من علمك أنما هو أفعل التفضيل " [3] .**
993 **وقد أشار أهل اللغة إلى إصابة المتنبي في هذا الموضع ، وصحة رأيه وزاد**
994 **تحامل ابن خالويه في إيغال صدر الأمير ضد المتنبي ، في مناظراته الأخرى ، حتى**
995 **بلغ به الحد ، بعد أن أفحمه المتنبي في إحداها ، وأظهر خطأه ، إلى شج وجه**
996 **المتنبي بمفتاح حديدي ، على مرأى ومسمع من سيف الدولة وندمائه [4] ، حين**
997 **نجح ابن خالويه في إيغال صدر الأمير ضد المتنبي ، كما تشير المصادر التاريخية ،**
998 **فابن خالويه هنا يتعامل مع اللفظة (بمعناها المعجمي) وهذه الحادثة وغيرها ،**
999 **كانت سبباً مهماً من الأسباب التي حدت بالتسريع من اتخاذ المتنبي قراره بالرحيل**
1000 **عن حلب [5] .**
1001 **وإن صحّت هذه الحادثة بكل تفصيلاتها ، ولا نضنها كذلك ، فإنها تدل وغيرها**
1002 **من الحوادث الأخرى على تحامل ابن خالويه المفرط في حق المتنبي ، ويبدو ان**
1003 **الأسباب التي دفعت ابن خالويه لمثل هذا التحامل والعداء لم تكن تختلف كثيراً عن**
1004 **الأسباب التي دفعت أبي فراس الحمداني ومعظم أصحاب التيار المعادي لشاعرنا ،**
1005 **إلى الوقوف هذا الموقف ، على الرغم من إن ابن خالويه لم يكن شاعراً منافساً**
1006 **للمتنبي ، إنما هو لغوي ، وربما كان للمنزلة الكبيرة التي أحرزها المتنبي عند**

---

(1) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين ، بلاشير / 5 .
وينظر : معجم الأدباء / ج9 : 200 – 205 .
(2) شرح ديوان المتنبي / ج4 : 43 .
(3) ليس في كلام العرب ، لأبن خالويه ، مقدمة المحقق / 15 – 16 .
(4) ينظر : الصبح المنبي / 44 – 45 .
(5) م . ن / 87 .

1007 **سيف الدولة ، وحظوته بجوائزه الثمينة , فضلاً عن تعاليه وازدراءه بمن سواه من**
1008 **ندماء سيف الدولة ، ربما كان لذلك كله الأثر الواضح في شحن نفوس اللغويين**
1009 **والشعراء على حدّ سواء عليه ، حتى أن خصومة ابن خالويه ، كما رأينا ، " لم**
1010 **تكن خصومة شريفة على مبدأ أو عقيدة أو رأي ، بل كان باعثها الحقد والحسد [1]**
1011 **".**
1012 **وعلى إثر ذلك أيضا ، كان المتنبي يواجه خصميه ؛ الشاعرين الخالديَين (أبو**
1013 **بكر وأبو عثمان) [2] ، و هما من شعراء سيف الدولة المقربين ، الملازمين له ، و**
1014 **قد ألفا كتاب (الأشباه و النظائر) ، وهو كتاب في النقد والأدب [3] ، وقد أهملا ذكر**
1015 **المتنبي في كتابهما إهمالاً تاماً ، كما فعل الأصفهاني في موسوعته (الأغاني) ،**
1016 **هذه الموسوعة التي قدمها لسيف الدولة مضمِّناً إياها أخبار معظم الشعراء**
1017 **البارزين كأبي تمام والبحتري ، وغيرهم من الشعراء المعاصرين ، وهذا ما يثير**
1018 **الاستغراب و التساؤل فهل يمكن أن يكون الحسد والحقد وحدهما الدافع الرئيس**
1019 **وراء هذا الإهمال المتعمد ؟!**
1020 **والحقيقة ليست كذلك ، كما سنرى في بيئة بغداد ، فقد كان تعمد إهمال هؤلاء**
1021 **لذكر المتنبي في مؤلفاتهم ، علاقة وطيدة بصلتهم بوزير البويهيين في بغداد (**
1022 **المهلبي) وهذا ما سنأتي على ذكره لاحقاً .**
1023 **نلاحظ هنا إن سرقات المتنبي في بيئة حلب لم يتم تناولها في دراسة مكتوبة**
1024 **وموثقة ، إنما كانت نظرات وخطرات نقدية من هنا وهناك ، وهي لا تكوِّن في**
1025 **مجملها دراسة متكاملة أو وحدة منهجية مترابطة ، فهل كانت الرغبة في الحفاظ**
1026 **على حبل الود بين خصوم المتنبي وأمير حلب صاحب المتنبي وصديقه ، سبباً**
1027 **وراء ذلك ؟ مع العلم ان سيف الدولة كان يتعرض بنفسه إلى نقد المتنبي ويناقشه**
1028 **في شعره ؛ وربما أيضاً يكون إهمال ذكر المتنبي المتعمد في مؤلفات المؤلفين في**
1029 **حلب ، محاولتهم عدم لفت الانتباه إليه بالإساءة أو الإحسان ، وعدم الرغبة في**
1030 **إعلاء شأنه وتأليف كتاب خاص بنقد شعره ومناقشته ، خاصة إن للمتنبي جمهوره**
1031 **من المعجبين الذين كانوا يستميتون في الدفاع عنه دوماً .**
1032 **ومن المناظرات النقدية التي عرضت للمتنبي في حلب ، نلاحظ ان المتنبي قد**
1033 **أثار وأغاظ الشعراء أولاً كما أثار النحويين واللغويين ثانياً ، فضلاً عن رغبته في**
1034 **جذب انتباه الفقهاء والمتكلمين من أصحاب سيف الدولة وإبهارهم [4] .**
1035 **ومن أولئك الشعراء أبو العباس النامي ، وأبو فراس الحمداني والشاعر السّري**
1036 **الرفاء والخالديان ، ومن النحاة ابن خالويه وأبو علي الفارسي [5] .**
1037 **" والحقُّ ان الخصومة لم تنشأ حول هذا الشاعر إلا منذ اتصاله بسيف الدولة**
1038 **في حلب وقد انتظمت الحركة النقدية بها ونهضت بجناحين قويين من أنصار**
1039 **وخصوم ... وجملة ما تقدم أن حلب كانت أول بيئة أدبية انتقد فيها شعر المتنبي**

---

[1] ليس في كلام العرب ، مقدمة المحقق / 16 .
[2] ينظر : الصبح المنبي / 142 – 314 .
[3] ينظر : الأشباه و النظائر / مقدمة المحقق .
[4] ينظر : تاريخ الشعر العربي ، طه حسين / 185 .
[5] ينظر : معجم الأدباء / ج11 : 182 ، وينظر : سيف الدولة وعصر الحمدانييت ، سامي الكيالي / 139 .

1040 **فالأمير ناقد و اللغويون نقاد والشعراء يناقشوه فينتقدونه ، وللشاعر قبل ذلك كلّه**
1041 **أنصاره المحبون وتلاميذه المخلصون " [1] ، وفوق ذلك كله شاعريته التي طغت**
1042 **على شعراء عصره .**

[1] القاضي الجرجاني و النقد الأدبي ، عبدو قلقيلة / 196 – 198 .

بيــئة مصـــر

غادر المتنبي بيئة حلب إلى الفسطاط ، التي لم يكن حظها من العلوم والآداب والثقافة اقلّ عن سابقتها ، " إذ لم يكن هناك فرع من فروع العلم والفن والفلسفة يزدهر في بغداد إلا وله حظٌ من الازدهار في مدارس الفسطاط ومساجده وأندية السادة والقادة فيهما " [1] .

ولا شكَّ في ان المتنبي دخل مصر وهو يحمل أضعاف ما كان يحمل عند دخوله حلب من طموح نفسٍ ذاقت الخيبة ومرارة الانكسار ، فلم يزدها ذلك إلا إصرارا على التحدي ، وصلابة في مواجهة الصعاب ، حتى وان كانت وسيله تحقيق هذا الطموح تخالف ما تؤمن به هذه النفس من مبادئ ، ولهذا نجد أغلب النقاد المهتمين بدراسة شعر المتنبي تساءلوا عن سبب اختيار المتنبي لبيئة مصر بعد خروجه من حلب دون بغداد , التي كانت تفوقها من حيث الشهرة ، وغنى الأجواء الأدبية والعلمية، فضلاً عن كونها مركز الخلافة وملتقى أهل العلم والأدب , وربما يكون سبب ذلك ان المتنبي كان يشعر " أن ملك الإخشيديين سيكون أرحم صدراً له من حكم البويهيين " [2] ، الذين أمعن في هجائهم ، فضلاً عن استجابة نفسه لدعوه الإخشيديين الذين كانوا أغدقوا عليه الوعود والآمال [3] .

ففضّل المتنبي بيئة مصر ، على موطنه (العراق) ، وأميرها كافور الأخشيدي ، الذي يعدُّ خصماً لدوداً لصاحبه سيف الدولة الحمداني ، ولم يكن هذا بالمستغرب منه ، ذلك أنّ وطن المتنبي لم يكن غير ارضٍ تحقق فيها نفسه الطموحة آمالها وأحلامها.

ولم تكن الاختلافات بين بيئة حلب وبيئة الفسطاط تقتصر على الجانب السياسي فحسب ، إنما تعدته إلى جوانب أخرى أهمها الجانب الثقافي والأدبي ، إذ وُجدت عدة حلقات اختلف إليها الأدباء والشعراء والعلماء كانت أكبرها حلقة كافور ثم حلقه وزيره أبي الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه [4] ، فحلقه صالح بن رشدين الكاتب ، وهو راوية الشاعر الأول بمصر[5] ، واحد كبار رجال الدولة ، فحلقة حاكم دمشق القديم علي بن صالح [6] .

كما ان كافورا الإخشيدي لم يكن اقلّ اهتماماً وإلماماً بشؤون الأدب والعلوم من سيف الدولة ؛ فقد عُرف عنه أنه كان يُدني الشعراء ويجيزهم ، وكانت تُقرأ عنده في كل ليلة السِيَر وأخبار الدولة الأموية والعباسية ، وله ندماء ، وكان كريماً كثير الخِلَع والهِبَات خبيراً بالسياسة ذكياً جيد العقل وكان له رأي في العربية و الأدب والعلم [7] .

---

(1) مع المتنبي ، طه حسين / 288 .

(2) من تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، طه حسين / ج2 : 275 .

(3) ينظر : م . ن / 274 – 284 . وينظر : شرح ديوان المتنبي ، البرقوقي / ج1 : 44 .

(4) حترابة هي أم أبي الفضل بن جعفر ، وفيات الأعيات / ج1 : 349 .

(5) أحد أئمة الكتاب في سائر الأدب ، صحب المتنبي وروى شعره ، يتيمة الدهر / ج1 : 415 .
وينظر : شروح شعر المتنبي ، ت: محسن عياض عجيل / 135 – 136 .

(6) ينظر : القاضي الجرجاني و النقد الأدبي / 199 .

(7) ينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، جمال الدين الأتابكي / ج4 : 6 .

وعلى الرغم من سعة وازدهار الجانب الثقافي والأدبي في بيئـة مصر ، إلا إنها لم تحو بين أطباقها ، حين قصدها المتنبي ، من الشعراء من بلغ مبلغه [1] ، وربما كان هذا أحد الأسباب المهمة التي حدَت بكافور إلى استقدام المتنبي لمدحه وتخليد ذكره ، وكان من أهم الشعراء الذين قابلهم المتنبي في مصر، ابن وكيع التنيسي [2] .

كما لقيت علوم اللغة والنحو عناية كبيرة في بيئة مصر " إذ تولى بعض رجالها مناصب كبيرة في الدولة ، هيأت لهم السُّبُل لتشجيع هذه الدراسات ، مثل إبراهيم بن عبد الله النجير الذي كان كاتباً لكافور وعبد الله بن أبي الجوع وعلى بن حمزة المهلبي ، وأبي بكر بن موسى الكندي الملقب بسيبويه مصر " [3] ، وقد التقى المتنبي بهؤلاء العلماء وكانت له معهم نقاشات ، ربما كان أكثرها شيوعاً تلك التي كانت بينه وبين سيبويه المصري ، وقد كان المتنبي ؛ كما في حلب ؛ طرفاً في بحث مسائل اللغة والنحو التي دارت بين علماء مصر " وقد وجد في شخصية علي بن أحمد المهلبي خلفاً لابن خالويه من حيث مجابهة الشاعر بعداء واضح " [4] ، وقد أصبح للمتنبي مع وفوده إلى مصر مدرسة ثانية تهتم بشعره وتتدارسه ، وهي بذلك تضاف إلى المدرسة الحلبية .

وقد كان إقبال الدارسين على شعر المتنبي، في مدرسة الفسطاط ، كما هي الحال في مدرسة حلب ، نابعاً من دافعين متضادين : الأول : دافع الإعجاب بشعر الشاعر و أسلوبه الفني ، وتمثل الثاني بدافع الغيرة والحسد لما ناله هذا الشاعر من شهرة فنية لا يمكن موازاتها ؛ وهكذا أقبل شعراء مصر على شعر المتنبي " يتدارسونه بينهم حتى لنراهم يقفون على أحد معانيه باحثين عن المصدر الذي أخذه منه " [5] .

وقد كان المتنبي لا يجد حرجاً في التصريح بهدفه الرئيس من القدوم إلى بلاط كافور ، ونقصد به الأمارة ، ولم يكن كافور ممن يحوجهم الذكاء لمعرفة الأسباب الحقيقية وراء مديح المتنبي له ، بعد كل تلك الأعوام التي قضاها في مديح خصمِهِ في حلب [6] ، إنما الذكاء أو بعضه ربما كان يعوز المتنبي نفسه ، الذي نسى أو تناسى ان قائداً سياسياً لبقاً ككافور لا يمكن أن يُراودَ عن بعضِ مُلكِه ، فيجازف بتقديمه كمكافأة ، لمن كان بالأمس القريب شاعر خصمه وصاحبه ؛ والذي بدا ان المتنبي قد خدعه غروره " و إلا فكيف نفهم أن ينفق المتنبي نفسه أعواما يمدح فيها الأمير الحمداني ويعيب فيها خصومه من أهل مصر والعراق ثم يظن بعد ذلك ان المصريين يعِدُونَه صادقين ويبذلون له الآمال و الأماني ، وهم يأخذون أنفسهم بالوفاء والاطمئنان إليه " [7] وقد ورد في الصبح المنبي أن أبا الطيب سال كافوراً

---

(1) ينظر : ثقافة المتنبي و اثرها فب شعره / 40 .
(2) شاعر مشهور أصله من بغداد ومولده بتنيس وكان فصيحاً من أهل الفقه والنحو والسير ،وفيات الأعيان / ج:104-107 .
(3) ثقافة المتنبي ، هدى الأرناؤوطي ؟ 41 .
(4) م . ن / 42 ، وينظر أيضاً من تلك المناظرات : تاريخ الجامع الأزهر ، محمد عبد الله عباس / 64 .
(5) ثقافة المتنبي وأثرها في شعره / 41 .
(6) ينظر : مع المتنبي / 283 .
(7) م . ن / 283 .

"أن يوليه صيداء من بلاد الشام أو غيرها من بلاد الصعيد فقال له كافور : أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سُمْتَ نفسك إلى النبوة , فان أصبت ولايةً وصار لك أتباع فمن يُطيقكَ ؟ " [1] .

لذلك نراه يترفع عن مدح (جعفر ابن الفضل بن الفرات) المعروف بابن حنزابة ، الذي رغب بمديح المتنبي له ، الأمر الذي حمل هذا الوزير ، وهو وزير كافور والمقرب منه ، وهو مع ذلك من بيت شريف ورث الرياسة والوزارة وكان محبّاً لأهل العلم والشعر ، وكان يعقد المجالس الأدبية التي تضم أبرز العلماء و الأدباء في عصره ، كما كانت لديه خزانة للكتب النفيسة وكان يطمح ان يخصه أبو الطيب ، بقصيدة يخلد ذكره فيها ، لكنه لم يفعل [2] الأمر الذي حمل هذا الوزير على تتبع سقطات أبي الطيب فأخذ يحشد علماء اللغة وكُتّاب الأدب والشعر للكشف عن سرقات المتنبي ، ويذكر لنا يوسف البديعي " أن ابن جني حين كان يقرأ على أبي الطيب قصيدته التي منها :

أزورهُم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصُّبحِ يُغري بي

قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أعلِمتَ أني أحضرت كتبي كلها وجماعة من أهل الأدب يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا بذلك وكان أكثر من رأيت كتباً " [3] ، وانصبت جهود ابن حنزابة على محاولته نفي فضل المتنبي في نظمه لذلك البيت ، وابتكاره لمعناه دون اقتباس أو سرقة أو اتكاء على بيت شاعر آخر [4] .

وقد كان المتنبي يَجِدُّ في اصطناع خصومه وأعدائه مع إصراره على التعالي والغرور أمام كل من هو دون الأمير ، حتى وإن كان وزيراً أو غيره من رجال الدولة الكبار ، الشيء الذي جعلهم يجدُّون بدورهم في إلصاق التُّهم به وتتبع سرقاته وعيوب شعره ، فضلاً عن الدافع الموضوعي أو (الفني) ذلك ان تقصَّد النقاد والشعراء تتبع شعر المتنبي ، جعلهم يقفون على كثير من المسائل الفنية واللغوية في شعره ، كما هي الحال مع أبي الجبِّيّ البصريّ المشهور بسيبويه المصري ، وهو يقف على أحد أبيات المتنبي المشهورة ناقداً له ، عاتباً عليه في قوله:

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يَرى عدوّاً له ما مِن صداقتِه بدُّ [5]

ويقول عنه ، أنه كلام فاسد ؛لأن الصداقة ضد العداوة ، و الصداقة مأخوذة من الصدق ، ولو قال : ما من مداجاته لكان أحسن وأجود [6] .

وقد ناقش المتنبي سيبويه في هذا البيت : فقال " بلغني أنك أنكرتَ قولي كذا ... ، وقد استشهد سيبويه المصري بقول الشاعر :

أتاني في قميصِ اللاذِ يسعَى عدوّاً لي يلقَّبُ بالحبيبِ [1] .

---

[1] الصبح المنبي / 113 . و ينظر : الواضح في مشكلات المتنبي ، الأصفهاني / 10 .
[2] ينظر : م . ن / 113 . وينظر : المنصف ، مقدمة المحقق / ي .
[3] الصبح المنبي / 288 .
[4] م . ن / 288 .
[5] شرح ديوان المتنبي ، العكبري / ج2 : 375
[6] ينظر : الصبح المنبي / 114 .

فقال له المتنبي : أمع هذا غيره ؟ قال نعم :

وقد عبَـثَ الشرابُ بوجنَتَيـهِ فصيّرَ خدَّهُ كسَنا اللهيـبِ
فقالَ الشمسُ أهدت لي قميصاً مليحَ اللونِ من نسيج المغيبِ
فثوبـي والمُـدامُ ولــونُ خـدِّي قريبٌ مـن قريبٍ من قريبِ

فتبسم المتنبي وانصرف وسيبويه يصيحُ عليه ؛ أبكم الرجل و جلال الله [2] .
وهذه الروايـة ، إن صحت ، تدل على أمور عدّة ، لعل من أهمها ، استمرار النظرة السطحية أو الجزئية في التعامل مع شعر المتنبي خاصة من لدن اللغويين الذين يفتقرون إلى كثير من مقومات الحسّ الفنـي , لذلك يعلق ابن جني على هذا النقاش بقوله : " ولو أن الشاعر قال مداجاته بدلاً من مداراته لكان أشبه ، والذي قاله أحسن في اللفظ ، وأقوى في المعنى , وحسنُه انه ذكر العدو وضِدَّه) الصديق ,وفي قوة المعنى انّ المُداجي المساتر للعداوة , وقد يُساتر العداوة من لا يُظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهار بُدٌّ ، فهو يعاني من ذلك أمراً عظيماً ونكداً في الحياة ؛ فهو أسوء حالاً من المداجي " [3] ، وقول المتنبي , كما رأينا ، أكثر عمقاً وقوةً في التعبير عن حالة المتنبي ، ذلك انّ اعتماد الشاعر على الطِباق بين العداوة والصداقة يعمق لدينا إحساس الألم والنكد الذي يعانيه ، فهو مرغم على إظهار المحبة والصداقة في الوقت الذي هو مرغم فيه على كتم بُغضهِ وعداوته ؛ وما يكسب المعنى قوة أيضاً وصف المتنبي لصاحب هذه الحالة بـ (الحُرّ) ، فانظر كيف جمع المتنبي أطراف قوة المعنى في هذا البيت ، والذي يفوق قول الشاعر : أتاني في قميص ... لأن الشاعر هنا ينفي أمكان تحول هذا العدو إلى الحبيب ، وهو بذلك لا يقع تحت تأثيرٍ يوجِبُ اصطناعَ ما تكرهُه نَفسُه ، كما حصل مع المتنبي ، فهو يحدثنا عن عدوٍ لأبدَّ من هجره ، وهذا بعكس المتنبي الذي ليس له بدٌّ من صداقه عدوِّه ، ولا يخفى على أحدٍ مدى الاختلاف الواضح بين موقف كلا الشاعرين في النصين اللذين أقتطِع منهما البيتان لاسيّما الموقف النفسي , أي الحالة الانفعالية التي كان النص ثمرة مباشرة لها ، وهذا ما جعل المتنبـي يُعرِضُ عن مناقشة سيبويه المصري أو محاولة إقناعه بصحة تعبيره وقوَّته بعدما سمع تتمة البيت الذي استشهد به سيبويه " .
وقد عِيب على المتنبي كثرة ذكره سواد كافور [4] ، وكان ابن حنزابه ممن يتتبعون مثل هذه الأبيات ويُثيرون حفيظة كافور عليها , ومن ذلك على سبيل المثال قوله في قصيدته التي مطلعها:

إنّما التهنآتُ للأكفاءِ ولمن يُدنِي مِن البُعَدَاءِ [5]

فكان ابن حنزابه يدّعي إنّ المتنبي يهزأ بكافور في هذه الأبيات ويسهِّل على الناس أمر لونه ويحسِّنه " : قال الوحيد : كان المتنبي يعلم انّ ذكر السواد على

---

(1) ينظر : م . ن / 114 .
(2) ينظر : م . ن / 144 .
(3) الصبح المنبي / 114 .
(4) ينظر : م . ن / 115 .
(5) شرح ديوان المتنبي ، البرقوقي / ج1

مسامع كافور أمرٌّ من الموت ، فإذا ذكر لونه بعد ذلك فقد أساء لها وعرّضها للقتل ,وكان من إحسان الصنعة وإجمال الطلب ألا يذكر لونه ؛ ولكن الرجل (أي المتنبي) سيئ الرأي ، وسوء رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة " [1] ، ومما عِيب على المتنبي في هذا قوله :

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانِهِ وخَلّت بياضاً خلفَها ومآقيا [2]

وقيل أنّ هذا البيت من أعلى طبقات الإحسان ؛ لكونه كنَّى عن سواده بإنسان عين الزمان [3] ، هذا فضلاً عما كان من محاورات ، ومناقشات بينه وبين أبن العفير في مجلس كل من كافور الإخشيدي ، وابن خنزابة [4]

وهكذا فقد تنوعت حلقات النقاش في بيئة مصر وامتدت إلى المساجد ، وقد كان المتنبي يجلس لمدارسة شعره والمناقشة حوله ؛ وكان له جماعة من المعجبين كابن أبي الجوع الذي كان صديقاً له وهو أحد رواة شعره ، ومنهم صالح بن رشدين , وهو من الأُسَر العريقة في مصر , وكانت تحت إرشاده الحلقة التي تدرس ديوان المتنبي ، التي ترأسَها بعد هرب المتنبي من مصر ، وهو من أبرز الذين كانوا يجالسون المتنبي ويستمعون إلى ما يُملِيه من شروح وتعليقات ، وقد ظهر أثر هذه الجلسات والمناقشات حول شعر المتنبي فيما نشأ حوله من شروح ودراسات نقدية مثل كتاب (المنصف للسارق والمسروق في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي) ، وهو " صدىً من أصداء النقاش آنئذٍ حول شعر المتنبي وفنيته " [5]، وهو لمؤلفه ابن وكيع التنيسي ت (393) ، الذي ألّفه بتأثير أستاذِيهِ المهلبي ، فضلاً عن الدوافع الأخرى ، ومن أبرزها على ما نظن ، كونه شاعراً ، وإن ظهور شاعرٍ كالمتنبي ما أثار عامل المنافسة فيما بينهما ؛ أما الدوافع الأخرى فسنأتي على ذكرها في الصفحات القادمة .

ولم تتوقف عناية المصريين بشعر المتنبي ، بعد رحيله عن مصر ، بل امتدت إلى القرن الخامس فنشأت دراسات حول شعره ؛ ولا غرابه أن يهتم العميدي بسرقات المتنبي ويؤلف فيه كتابه ، الإبانة عن سرقات المتنبي ، وهو من بقايا آثار حركة النقد التي أثارها المتنبي وشعره في بيئة مصر الأدبية [6] ، فهذا ضياء الدين ابن الأثير (ت 637) يحدثنا عن اهتمام البيئة المصرية وأدبائها بشعر المتنبي قائلاً :

" وكنت سافرت إلى مصر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وقد رأيت في مصر الناس منكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره ، فسألت جماعة من أدباء مصر عن سبب ذلك فقلتُ : إن كان أبا الطيب قد دخل مصر ، فقد دخلها قبله مَن هو مُقدَّمٌ عليه وهو أبو نؤاس ؛ فلم يذكروا لي في هذا شيئاً ، ثم إني فاوضت عبد

(1) الصبح المنبي / 115 – 116 .
(2) شرح ديوان المتنبي / ج4 : 424 .
(3) ينظر : الصبح المنبي / 116 .
(4) ينظر : ثقافة المتنبي وأثرها في شعره / 41 .
(5) ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع الهجري ، مصطفى الصاوي / 251 .
(6) ينظر : ملامح الشخصية المصرية / 246 .

الرحيم بن علي البياني في هذا فقال : إنّ أبا الطيب ينطِقُ عن خواطِرِ النَّاس , ولقد صدق فيما قال " [1] .

وتظهر أهمية هذه المرحلة ، وأثرها في شعر المتنبي ، في أمورٍ عدّة لعلَّ من أبرزها :

1- الاهتمام بشعر المتنبي من خلال تدوينه وتدوين شروحه ، ومصدر ذلك ما كان يطرح في الحلقات والجلسات الأدبية ، التي كانت تقام في بيئة مصر ، والتي كان المتنبي طرفاً بارزاً ومهماً فيها ، وقد أدى هذا التدوين إلى رصد سرقات المتنبي وعيوب شعره.

2- تعدد الحلقات وتنوع اتجاهات الثقافة في هذه البيئة أدى إلى الاهتمام بالجوانب الفنية لشعر المتنبي وهذا الأمر كان نادراً في بيئة حلب ، نظراً لشدة الخصومة التي كانت تواجه الشاعر ، وخصوصية علاقة الشاعر بالأمير الحمداني في حلب.

هذه أبرز ملامح الخصومة التي دارت بين المتنبي وخصومه في مصر ، وقد كان من آثارها في النقد كتب هي " : المنصف للسارق والمسروق " وكتاب " النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته " ، وهو الذي ردّ به ابن جني على الناقد المصري ، وبَّيَن فيه انَّ صاحبَ المنصِف غيرُ منصفٍ [2] .

وكما أثّر قدوم المتنبي إلى مصر في زيادة نشاط الحركة النقدية ، فقد كان لهذا القدوم الأثر الواضح أيضاً في شاعرية المتنبي من جهة أخرى ، وتنامي قدرتِهِ الإبداعية ، وهذا ما يشير إليه يوسف البديعي في روايته عن العكبري ؛ قال " : قال العكبري : سألت شيخي أبا الحرم مكي بن ريان الماكسي عند قراءتي الديوان عليه سنة (599 هجرية) ، ما بال شعر المتنبي في كافور أجود من شعره في عضد الدولة وابن العميد ؟ قال : كان في مصر جماعة من الفضلاء والشعراء يعملُ الشعرَ لأجلِهم " [3] ، ولهذا يقول طه حسين " : ان شعر المتنبي في مصر أقل سقطاً من شعره في حلب لأن المتنبي فيما يظهر كان يُقدِّر العلماء المثقفين المصريين " [4] .

ولا شكّ في ان المتنبي وشعره ، استأثرا بمكانة مهمة في بيئة واسعة الثقافة ، متعددة الحلقات كبيئة مصر ؛ وقد نتج عن هذا الاستئثار أو الاهتمام ما نوهنا عليه من دراسات حول شعره وما تلاها من شروح ، وكان لقضية السرقات مكاناً واضحاً فيما أُلِّفَ عن المتنبي من دراسات ، وربما يكون لذلك أسبابه الواضحة ، فعدى عن كون حمّى السرقات الأدبية لم تكن بمنأى عن ساحة النقد الأدبي في بيئة مصر ، فان خصوم المتنبي ، الذين جدّ في اصطناعهم ؛ لم يكونوا ليغفلوا مثل هذا السلاح الفعّال في معركتهم الإعلامية ضده ؛ وإن كان للمتنبي مكانة أثيرة عند أمير حلب الحمداني تقيهِ أحياناً سهام المُغرضين ؛ فإن مثل هذه المنزلة لم تكن له عند كافور

---

(1) المثل السائر لأبن الأثير ، القسم الثالث / 85 . وينظر : الأدب في العصر الأيوبي ، محمد زغلول سلام / 224 .

(2) ينظر معجم الأدباء ، ياقوت الحموي / ج12 : 113 .

(3) هامش الصبح المنبي / 99 .

(4) من تاريخ الأدب العربي ، طه حسين / ج3 : 275 .

الأخشيدي ؛ وربما من أجل ذلك لم يجرؤ أحد في بيئة حلب على التعريض بشاعرنا بمُؤَلَّفٍ نقديٍّ خاص ، كما حصل معه في مصر ، حتى بعد وفاته !!

بيـئة بغـداد

غادر المتنبي مصر فارّاً من كافور الأخشيدي مُيمماً نحو العراق ؛ وقد اختلفت آراء النقاد والدارسين قديماً وحديثاً في تخمينهم للأسباب التي حَدَت بالمتنبي بالتوجه إلى العراق خاصة " وان الشاعر قد عمد إلى الإساءة إلى أولي الأمر في

|

العراق ، حينما كان في حلب ، إساءةً جارحة لم يكن من العسير أن تُنسى في سرعةٍ وسهولة ، والأشخاص الذين هاجمهم تعريضاً وتصريحاً كانوا ما يزالون أحياء ، وكان السلطان ما يزال إليهم " [1] ؛ وربما أراد المتنبي أن يحيا في بغداد حياة الاستقرار والهدوء وحياة الأدباء وأهل العلم مفيداً من ازدهار الحالة الثقافية والأدبية التي كانت بغداد زاخرةً بها ، على الرغم من كل التناقض الذي كان يَسِمِ الساحة السياسية والاجتماعية بميسمهِ ، خاصّة بعد استيلاء البويهيين على مقاليد الحكم في بغداد (334) هـ إثر انتشار الضعف في جميع مفاصل الخلافة العربية ، وخلع خليفتها المستكفي بالله ، مما كان له الأثر الواضح في انتشار الإضطرابات السياسية وسوء الحالة الاجتماعية مع تولي معز الدولة البويهي الوزارة واشتداد الغلاء في بغداد [2] ، الأمر الذي أدى إلى شيوع ظواهر الخلاعة والمجون واللهو خاصّة بين الوزراء والحكام وكبار رجالات الدولة [3] .

لكن ، وعلى الرغم من كل ذلك التردي الذي كان يسِم الحالة السياسية والاجتماعية في بغداد آنذاك كانت الحركة الثقافية مزدهرةً ؛ فقد اهتم أمراء الدويلات والمماليك بالعلوم والآداب والفنون ، وقد أوْلى البويهيون الأدباءَ والعلماءَ مكانةً مرموقة ، إذ كانوا يستوزرون أبرع الكتاب وأبلغهم [4] ، وقد لقي الشعراء والكتّاب الرعاية والاهتمام من لدن الأمراء الذين كانوا يتذوقون الشعر ، ويقرضونه أحياناً ، وتشير المصادر أن عضد الدولة البويهي كان يحث العلماء ويشجعهم على التأليف ، ويعطيهم الأموال ، يقول الثعالبي عن مجالسه [5] " : وخصّص رسوماً للفقهاء والمفسرين والنسابين والشعراء والنحويين والعروضيين ، وكان أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً [6] ، ومن أكثر الكتاب شهرة وأوسعهم في عهد بني بويه ببغداد ؛ الوزير أبو الفضل بن العميد ، والصاحب بن عباد ، والمهلبي ؛ الذي كان كاتباً يترسل في الكتابة ، كما كان شاعراً يتذوق الشعر ويقوله قولاً لطيفاً ، فكان قصره الجميل صالةً فسيحة للمجالس الأدبية التي يقصدها أهل العلم والأدب ، والقضاة والشعراء ، وكان أبو الفرج الأصفهاني ، الكاتب المشهور ، صاحب كتاب الأغاني من ندمائه الذين لا يفارقونه ...ومن الشعراء الذين قصدوه أيضاً السري الرفاه ، والخالديان ، عدا عن الشعراء الذين يلازمونه في مجالسه الأدبية [7] ، وكان القاضي التنوخي " [8] من أعز ندماء الوزير المهلبي ، وحامل رايته في الحرب على أبي الطيب المتنبي ومشوّه سمعته وتاريخه ، ومبتدع أسطورة نبوته ، وأبيه عبدان السقاء ، مؤلف (نشوار المحاضرة) المصدر الأقدم لما وُضع عن المتنبي من دسائس " [9] ، أما الكاتب

---

(1) مع المتنبي ، طه حسين / 345 .
(2) ينظر : الكامل لأبن الأثير / ج6 : 315 .
(3) م . ن / ج1 : 9 .
(4) ينظر : الكامل / ج6 : 10 .
(5) ينظر : يتيمة الدهر / ج2 : 216 – 218 .
(6) م . ن / ج2 : 219 – 223 .
(7) ينظر : السري الرفاه / 38 – 39 .
(8) كان أديباً شاعراً إخبارياً ، وفيات الأعيان / ج4 : 159 .
(9) التطلع القومي / 26 .

أبو إسحاق الصابي فهو " أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تثني الخناصر في الكتابة " [1] ، وله شعر جيد حسن ، وكان الوزير المهلبي كثيراً ما يجالسه و يأنس إليه ولا يرى الدنيا إلا به " كما يقول الثعالبي [2] ، أما أبوعلي الحاتمي [3] الكاتب اللغوي البغدادي (ت 833) مؤلف الرسالتان الموضحة والحاتمية ، حول سرقات المتنبي ، فقد كان أيضاً على صلة بالوزير المهلبي ، وكان ممن يتعلقون بأذيال الحكام والأمراء تلبيةً لرغبة المجد والمال والشهرة ، و كان يُعدُّ صنيعة من صنائع المهلبي ومعز الدولة بن بويه [4] ؛ ولم يكن الحاتمي في ذلك كله بَدِعاً من الشعراء والكتاب في عصره ، فقد كان معظم الكتاب والشعراء ، ان لم يكن جميعهم ، يتسابقون من أجل الوصول إلى أبواب الأمراء ، تَحدُوهُمْ إلى ذلك نزعة التحاسد والتباغض ورغبة الفوز بعطايا الأمراء المادية وهداياهم الثمينة ، ولم يكن هذا الأمر في بيئة بغداد نتاج النزعات الإنسانية الفردية فحسب ، بل كان آل بويه يستغلون الأدب ، ويتخذون منه وسيلة يستعينون بها على تهدئة الخواطر المضطربة والنفوس القلقة بسبب تردي الوضع الاجتماعي والاقتصادي آنذاك ، فضلاً عن استخدامه في إقامة الهيبة وبث الدعوة وتثبيت السلطان [5] ، وهكذا نرى أن الحالة الثقافية عامّة ، دخلت مدارج الانهيار القيمي الروحي ، مع ارتباطها بالمعطى السياسي الحاكم في بغداد آنذاك ؛ " فكان أن أصبح الشعر حرفة يتاجر بها جماعة من البشر ، وأصبحت العلاقة المادية طاغية على كل عمل شعري يصل بين الشاعر والحاكم " [6] ، وقد كثُر الدسّ والمنافسة والحسد بين الشعراء حتى وصل إلى إدعاء السرقة .. ومن أمثلة ذلك أن الشاعر السرّي الرّفاه يبالغ في سرقة الخالديين لشعرهِ ، لأن الخالديين قد أخذا يشعران بنبوغه وجودة شعره ، وتقربه من الأمراء فخافا على ما هما عليه ؛ ولهذا أقدما على إدعاء قسم من شعره الجيد حينئذٍ حسب ادعائه [7] ، وفي هذا يقول صاحب اليتيمة ، " ونابَذا الخالديين الموصليين وناصبَهما العداوة ، وادعى سرقة شعره وشعر غيره" [8] .

إذن ، هذه هي بغداد في الآونة التي مكث فيها المتنبي ، وتلك هي حال الوزارة في الفترة التي قضاها في العراق ، وهي حالٌ لا يمكن أن تبعث على ولاء ولا إقدام كما يقول د .محمد عبد الرحمن شعيب ، ونحن نتفق معه في أن هذه الأسباب هي التي كانت وراء انصراف المتنبي عن الاتصال بالخليفة أو غيره من الحاكمين في العراق [9] .

---

(1) اليتيمة / ج2 : 242 ، وينظر معجم الأدباء / ج2 : 20 – 93 .
(2) اليتيمة / ج2 : 242 ، وينظر : من تاريخ الشعر العربي / ج3 : 166 .
(3) هو أحد أعلام المشاهير المطلعين المكثرين ن وفيات الأعيان / ج4 : 362 – 367 .
(4) ينظر : المتنبي بين ناقديه / 245 – 246 .
(5) المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري / 40 .
(6) م . ن / 42 .
(7) ينظر : معجم الأدباء / ج 11 : 182 ، وينظر : وفيات الأعيان / ج2 : 359 – 362 ، وينظر : السري الرفاه / 58 .
(8) يتيمة الدهر / ج2 : 118 .
(9) ينظر : المتنبي بين ناقديه / 21 .

ا

وقد تحدث النقّاد القدامى عن هذه الظاهرة ؛ فذكر بعضهم أن الشاعر امتنع عن مدح الوزير المهلبي ترفُّعاً بنفسه عن مدح غير الملوك [1] ، وقال آخرون أن ما صدَّه ، ما سمعه من تماديه (المهلبي) في السُّخف و استهتاره في الغزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه " [2] وقد استقبل المهلبي المتنبي بحذرٍ شديد ، وكان لعدم مبادرة المتنبي مدح الوزير المهلبي سبباً في تأليب رجال السياسة عليه ، خاصة وان المتنبي كان قبل وفوده على بغداد شاعر الحمدانيين ، ألد أعداء الخلافة في بغداد ؛ وكان من الطبيعي أن ينساق الأدب على السياسة ويهيأ لها السلاح المناسب لمحاربة شاعر كالمتنبي" [3] ، ومهما تكن أسباب عدم مدح المتنبي للمهلبي فالذي يعنينا من تلك الحقيقة هو أثرها في الخصومة التي نشأت حول الشاعر وتتبع سقطاته وعيوب شعره ، وتتبع سرقاته وعمل المهلبي عمله مما " أغرى به شعراء العراق حتى نالوا من عرضه و تباروا في هجائه " [4] ، ويعدّ عبد الله بن الحجاج [5] (ت 292) ، سمير الحكام والوزراء [6] من أبرز الشعراء الذين تعرضوا للمتنبي بالهجاء:

يا ديمة الصَّفع هُبِّي   على قفى المتنـــــبي
ويا قفــاهُ تقـــدَّم   تعالَ واجلس بجَنْبي [7]

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً محمد بن محمد المشهور بابن لنكك[8] البصري [9] الذي كان حاسداً له طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان يسقي الماء بالكوفة ، فقال : [10]

قولا لأهلِ زمانٍ لا خَلاقَ لهمُ   ضَلُّوا عن الرشدِ من جهلٍ بهم وَعَمُوا
أعطيتُم المتنبي فوق مُـنيتُه   فزوجوهُ برغمٍ أمهاتكمُ

" والذي لا ريب فيه أنّ الخصومة حول المتنبي في بغداد كانت أقوى منها في أي مكان آخر ، ذلك أنّه في حلب كان تأييد سيف الدولة له ، يحميه من هجمات منافسيه ، وفي مصر كان أغلب رجال الأدب معه ، وأما في العراق فقد كانت

---

(1) ينظر : الصبح المنبي / 143 .
(2) ينظر : اليتيمة / ج2 : 226 .
(3) ثقافة المتنبي / 48 .
(4) الصبح المنبي / 143 .
(5) ينظر : وفيات الأعيان / ج2 : 168 – 172 .
(6) تاريخ الشعر العربي ، محمد عبد العزيز كفراوي / ج3 : 50 .
(7) المتنبي ، محمود شاكر / السفر الثاني : 371 .
(8) وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي أعيرج ، تصغير أعرج لأن كلمة لنكك معناها أعرج ، وعادة العجم إذا صغروا اسما ألحقوا في آخره كاف ، وفيات الأعيان ؟ ج5 : 382 .
(9) هو أبو الحسن المعروف بابن لنك البصري الشاعر الأديب و المتنبي أهمل ذكره لذلك كثر شعره في هجائه ، ينظر : تاريخ الشعر العربي / 78 – 79 .
(10) معجم الأدباء / ج19 : 8 – 10 .

النفوس موغِرةً ضدّه ، الخليفة و معز الدولة ووزيره المهلبي ، لأنه مدح خصمهم اللدود ، سيف الدولة ، وخلّد ذكره دونهم [1] .

وكما أثار المتنبي حوله الخصومة من لدن الحانقين عليه الحاسدين له ، لم تخلُ بيئة بغداد من وجود التيار المناقض للتيار الأول ونقصد به تيار المعجبين به ، المؤيدين له ، الذين أولوا شعره الأهمية والمكانة التي يستحقها , ومن هؤلاء الذين عارضوا الاتجاه المعادي للشاعر وتصدوا لأدب المتنبي مبينين مِيزته وفضله ؛ راوية المتنبي وتلميذه محمد بن أحمد المغربي [2] ، الذي ألفّ كتاباً في الردّ على من اتّهم المتنبي بالسرقة من أبي تمام والبحتري عنوانه : " الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي " ، و قد تحدث الحاتمي عن أولئك العلماء والشعراء الذين لازموا المتنبي في حلقات الدرس ، التي كان يعقدها في بغداد ، وقد كان لكثير منهم مكانة كبيرة في مجال الأدب واللغة ، وإن حاول الحاتمي أن يقلل من شأن تلك المكانة في رسالته الموضحة فهو يصفهم بأنهم " أغيلمة لم تَرضَهُم العلماءُ ولا عركتهم رحى النظر ولا أنضَوا أفكاراً في مدارسة الأدب ولا فرَّقوا بين حلو الكلام ومُرّهِ ... [3] .

وتشير المصادر إلى عدم صدق ودقة هذا الوصف ؛ فقد كان ممن جلس لدراسة وسماع شعر المتنبي في بغداد القاضي أبا محمد بن القاسم المحاملي [4] ، وغيره من العلماء والكتاب المشهورين ، ومنهم علي بن حمزة البصري النحوي وهو أحد أئمة اللغة في القرن الرابع , الذي اشتهر بمؤلفاته التي يردّ فيها على علماء اللغة [5].

وقد ربطت بين المتنبي وهذا اللغوي الكبير صداقة عميقة , ولعل هذا ما هيأ له مناخاً علمياً أفاد منه المتنبي كثيراً [6] ، وقد استمرّ اتصال المتنبي بابن جني الذي سمع من الشاعر شرحه لكثير من أشعاره ونقل عنه ما أملاه من شروح وتعليقات فضلاً عن تثبيته للمناقشات التي حدثت بينهما في كثير من المسائل في بيئة بغداد [7].

هذه هي الحال الثقافية التي كانت سائدة في بيئة بغداد , التي أثر المتنبي اعتزالها ، على النقيض مما فعله في البيئات السابقة التي مّر بها , إلا انّ هذه البيئة لم تؤثر بدورها اعتزال المتنبي فقد فرضت علية المشاركة في ساحة النزال النقدية إذ احتلّ المتنبي صدر كثير من الكتب النقدية في هذه البيئة , ومعظم هذه الكتب جارت في أحكامها على المتنبي ولم تُنصِفه أو تُنصِف شعره , أو تحاول أن تحيد به عن تعصب أصحابها وحقدهم على المتنبي ، ولعل المتنبي تعرض للظلم والجور في هذه البيئة أكثر من غيرها ؛ على الرغم من محاولته اعتزالها لها ،

---

(1) النقد المنهجي / 186 – 187 .

(2) وهو احد الأئمة الأدباء و الأعيان الشعراء خدم سيف الدولة وله تصانيف حسنة ، معجم الأدباء / ج17 : 132 ،

وينظر : تاريخ الأدب العربي بوركلمان / ج2 : 85 .

(3) الرسالة الموضحة ، الحاتمي / 8 .

(4) ينظر : نرهة الألباب لابن الأنباري / 219 .

(5) ينظر : معجم الأدباء / ج12 : 224 .

(6) ينظر : ثقافة المتنبي وأثرها في شعره / 50 .

(7) ينظر : م . ن / 51 .

وكفّ لسانه عن التعرض بالمدح وضدّه , لأمرائها وأثريائها ، ولعل في ذلك تكمن المفارقة : فقد كانت أشدّ الحملات الدعائية ضراوةً على المتنبي تلك التي انطلقت من العراق ، موطن الشاعر ، فهل كان الحسدُ والحقدُ على ما حظي به المتنبي خارج وطنه سبباً في ذلك ؟! أم أنّ اعتداد المتنبي بنفسه دفعهُ إلى تجاهل مديح أولي الأمر في بغداد كان بيت القصيد ؟! وهل بالفعل كان تكبرُ المتنبي وتعاليه السبب الوحيد في تمنّعه عن مدح المهلبي ومعز الدولة وغيرهم من أمراء بويه ؟ أم انّ للمسألة ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الصورة التي كان المتنبي يرى فيها أصحاب هذا الحكم ؟ وبعبارة أدقّ هل كانت أسباب المتنبي شخصية أم قومية في هذا الصدد ؟ وأيّاً كان الجواب فأن تضافر الخصومة على المتنبي في بيئة بغداد لم تكن منوطة بهذا الجانب فحسب , فمن الجدير بالذكر أن نُشير إلى أنّ بعض " ممن وجدوا في بلاط المهلبي كان قد سبق له لقاء الشاعر في حلب , ومنهم أبو علي الحاتمي , والاصفهاني صاحب ألاغاني , والخالديان والسرّي الرفاء .... وغيرهم , كان هؤلاء كلهم شاهدين على تفوق المتنبي وعُلو نجمه عند سيف الدولة فنشأت في نفوسهم بذور الحسد والحقد التي لم تكن تجد في جلب تربة خصبة لنموها ، فبقيت تتضخم وتستفحل في نفوس أصحابها حتى وجدت المناخ المناسب لازدهارها في ظل أمراء بني بويه الذين كانوا يحملون من الرغبة في النيل من المتنبي ما يحمله هؤلاء ، فكان أن التقت أهواء النفوس المتحاملة على شاعرنا ، الذي زاد في النار اتقاداً حين امتنع عن الاتصال بالبويهيين ومديحهم ، فكان ما كان منهم ، وليس من شك في أن ما أصاب المتنبي من ضرر وحيف في بغداد ، قد منحنا والحركة النقدية الأدبية نفعاً وعمقاً ، " وخلقت لنا تراثاً طيّباً حول الشاعر وشعره وحصيلة هذا كله ، قصائد كثيرة ، وان كان معظمها في الهجاء ، وكتب ومحاورات في جيد شعره و قبيحه ، وفي معانيه ومراميه وسرقاته وما حاكى فيه الحكماء من أمثال أرسطو ، وما انفرد به من وحشي اللغة و غريبها ، لفظاً وتركيباً ، وتقترب آثارهُ في هذا المجال من آثارهِ في حلب ، مع شعرائها وعلمائها في بلاط سيف الدولة " [1] .

وربما نستطيع أن نقول إن من أهم أسباب اعتزال المتنبي الموضوعية للبيئة الثقافية والسياسية في بغداد إيمانه بأن هذه البيئة ، لم تكن قط البيئة الصالحة لتحقيق أحلامه وطموحاته البتة ، ذلك ان المتنبي ، وكما ذكرنا سابقاً ، لم يكن له مطمع في الجاه والمال ، إنما كان يراهما " وسيلة من وسائل تحقيق هذا الحلم (حلم المُلْك) " [2] ، خاصةً وانه كان قد تلقى الصفعات الموجعة من صاحبه في حلب ، قبل ذلك ، ومن عهود الأمير الأخشيدي في مصر من بعده ، الأمر الذي أكسبه التعقل والحكمة في تدبير أموره ، والتخطيط المتأني لتحقيق هدفه المنشود ، خاصةً وهو يتعامل مع ألد أعدائه في بغداد .

---

[1] دراسات في الأدب العربي في العصر العباسي ، د. محمود زغلول سلام / 348 .
[2] صدقي إسماعيل ، المؤلفات الكاملة / ج1 : 283 .

I

ا

بيئـة فـارس

بعد تلك الإجازة التي أتاحها المتنبي لنفسه في بغداد ، بعيداً عن ساحة الشعر السياسة وجد أنّ مثل تلك الحياة المنعزلة عن عالم الشهرة والأضواء لا تلائم نفسه الطامحة ، فخرج من بغداد يعتلي صهوة طموحه متجهاً إلى بلاد فارس ، وقد اختلفت آراء الدارسين في مسألة ذهاب المتنبي إلى فارس بالذات ، فمنهم من ذهب إلى أن المتنبي قصد بلاد فارس تلبية لدعوةٍ توجه بها إليه ابن العميد [213] ، ومنهم من ذهب إلى أنّ المتنبي نفسه سعى إلى التقرب إلى ابن العميد " فكسب عظماء الفرس ليصلح بهم أمره في الشرق الإسلامي بعد أن سُدَّ عليه أمرُهُ في الغرب الإسلامي " [214] .

وأول ما نزل المتنبي من بلاد فارس في (أرجان) متوجهاً إلى حضرة أبي الفضل ابن العميد (ت 360) الذي كان وزيراً لعضد الدولة البويهي ، وكان نابغاً في الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم وقد برز في الكتابة حتى صار صاحب مدرسة في الإنشاء ، وحتى قيل بدأت الكتابة بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد ؛ حتى أصبح كاتب المشرق وصاحب طريقة الشعر المنثور[215] .

وكان ابن العميد من المعجبين بالمتنبي ، المتتبعين لأخباره التي كانت تملئ الآفاق ، وشهرته التي عمت الأطباق ، الأمر الذي زرع في نفسه بذور الحسد على المتنبي خاصة مع معرفته لشخصيته المتعالية ، وأنفتِهِ عن مدح غير الملوك .

وقد روت المصادر أن ابن العميد امتلأ غيضاً عند وفاة أخته على المتنبي ، قبل وفود المتنبي عليه ؛ ويذكر الربعي [216] انه حين سُئِل عن سبب حزنه وغيضه ، أجاب انّه ليغيضُني أمر هذا المتنبي ، واجتهادي في ان أُخمدَ ذكره ، وقد ورد عليّ نيّفُ وستون كتاباً في التعزية ، ما منها إلاّ وقد صُدِّر بقوله [217] :

طوى الجزيرةَ حتى جاءَني خبرٌ ... فزعتُ فيه بآمالي إلى الكَذِبِ
حتى إذا لم يدعْ لي صِدقُهُ أملاً ... شَرَقتُ بالدمع حتى كادَ يَشرقُ بي

يقول : فكيف السبيل إلى إخمادِ ذكرهِ ؟ [218] .

ولكن أراد ابن العميد على الرغم من ذلك ، استغلاله هذه الفرصة للفوز بمديح أشهر شعراء العصر للبويهين والتغني بهم ، فأحسن استقباله وأكرم وفادَتَهُ ؛ لكنَّ

---

(213) هو أبو الفضل محمد بن العميد الكاتب المعروف كان متوسعاً فبي فن الأدب و الترسل ولم يقاربه فيه أحد في زمانه
وكان يسمّى الجاحظ الثاني وكان كامل الرياسة جليل القدر وقصده مشاهير الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح ،
وفيات الأعيان / ج5 : 103 – 113 .

(214) من تاريخ الأدب العربي (مع المتنبي) ، طه حسين / ج3 : 377 .

(215) ينظر الصبح المنبي / 145 .

(216) النحوي البغدادي المترل ، الشيرازي الأصل ، كان عالماً في النحو يقرأ على ابن علي الفارسي عشرين عاماً توفي في بغداد
(421) هجري ، وكان من المعجبين بالمتنبي ، هامش : الصبح المنبي / 146 .

(217) شرح ديوان المتنبي ، العكبري / ج2 : 87 .

(218) ينظر : الصبح المنبي / 146 – 147 .

مَوجِدَةَ نفسه عليه كانت تطغى على تلك الرغبة أحياناً أو تزاحمها مما دفعه إلى توجيه الانتقادات لأول قصيدة يلقيها المتنبي في حضرته ، والحقّ ان تلك القصيدة ، كما أشار النقّاد، [219] كان فيها من الضعف الواضح ما يستحق النقد ، حتى ان المتنبي نفسه اعترف بهذا الضعف ، ملوِّحاً ، في قصيدته التالية ، التي أنشدها لابن العميد ، في عيد النوروز[220] .

وكان مجلس ابن العميد قريباً من مجلس سيف الدولة ، إذ أتيح للمتنبي ناقداً من ممدوحيه يسمع الشعر و يُجري فيه البحث والنظر " [221] ، كما أتِيحَ للمتنبي جماعة من العلماء والأدباء نقدوا شعره ، وتعقبوا سقطاته ، ولعل الصاحب ابن عباد ، الذي كان واحداً من أشهر كتاب الدولة البويهية في ذلك الوقت ، فضلاً عن شهرته كشاعر مجيد وناقد بصير ، كان من أبرز الذين ناصبوا المتنبي العداء ، وعمدوا إلى تتبع عيوبه وسقطات شعره ، ويعود ذلك إلى ترفع المتنبي عن مديحه ، أو إجابته لدعوته له بأصفهان عندما كان المتنبي في حضرة ابن العميد ، " وهو إذ ذاك شاب وحالهُ حويلة ولم يكن استُوزرَ بعد ، فكتب إلى المتنبي يلاطفه في استدعائه ويضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يُقِم له المتنبي وزناً ولم يُجِبْهُ عن كتابه ولا إلى ُمرادة " [222] وبدلاً عن ذلك ذهب المتنبي إلى شيراز ملبياً دعوة عضد الدولة ، وليس هذا بغريب على المتنبي ، الذي لم يسعَ في حياته إلى المال ذاته ؛ بقدرِ ما كان يسعى إلى أولي الأمر والسلطان ، ويبدو أن الصاحب بن عباد لم يكن بعد مستوعباً لهذه الحقيقة ، وكانت هذه الحادثة القدحة الأولى فيما نشب بين المتنبي والصاحب بن عباد من خصومة و عداء ، أسفرا عن تأليف (الصاحب) كتاباً خاصاً يتتبع فيه سقطات المتنبي , وهو كتاب (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) ، " و هذه الدراسة عبارة عن دراسة نقديةٍ فاحصةٍ لشعر المتنبي ، لكشف ما فيه من مساوئ وعيوب" [223] .

إذن اختار المتنبي الذهاب إلى عضد الدولة ، الذي كان يطمح إلى الإفادة من المتنبي ، كوسيلة إعلامية تمهّد مسألة قدومه إلى العراق ، فترحيب عضد الدولة بالمتنبي تودده إليه لم يكن يصدر إلا عن دوافع سياسية ؛ لا تمتّ إلى الاهتمام بالشعر أو بالشاعر بصلة ! وكان عضد الدولة على درجة عظيمةٍ من العلم والأدب ؛ محبّاً للعلوم ، مهتماً بأهل العلم والأدب والفقه والنحو ؛ وكان يقول الشعر وينتقده ، وبهذا أصبحت شيراز في عهده بيئة علمية وأدبية , فكان بلاطه كبلاط حلب ؛ وربّما زاد عليه ؛ فقد اجتمع فبه عدد كبير من الشخصيات الممتازة منهم : أبو علي الفارسي (ت 377) [224] ، وابن جنّي ، وكُتّاب رسائل ممتازون منهم عبد العزيز

---

(219) ينظر : مع المتنبي / ج3 : 341 .
(220) ينظر : الصبح المنبي / 153 .
(221) دراسات في الأدب العربي ، د. محمد زغلول سلام / 88 .
(222) اليتيمة / ج1 : 100 .
(223) ينظر : الكشف عن مساوئ شعر المتنبي / مقدمة المحقق : 19 .
(224) أقام بحلب عند سيف الدولة وجرت بينه وبين المتنبي مجالس ثم انتقل الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه
وعلت منزلته ، وفيات الأعيان / ج2 : 80 – 82 .

الجرجاني ، ومن الشعراء : ابن بابك والسَلَمي [225] وقد شارك كل هؤلاء الأفذاذ في استقبال المتنبي أحسن استقبال .. وتقبّلوه راضين كأستاذ لا ينازعُ في مملكة الشعر ، حتى أنّ بعض خصومه القدماء ،كأبي علي الفارس صاروا من المعجبين به ، بعد أن كان من الكارهين له ، ويروي لنا صاحب الصبح المنبي أن لابن جني الفضل في ما حصل من تبدل في موقف أبي علي الفارسي من المتنبي ، وذلك لكثرة المناقشات التي كانت تدور بينه وبين أبي علي الفارسي ، فلم يكن لأبي علي بدٌّ من الاعتراف بمكانة أبي الطيب ، حتى انه أصبح ممن يزكونه ويمدحونه عند عضد الدولة البويهي [226] .

ونلاحظ أنّ هذه المرحلة من مراحل حياة أبي الطيب المتنبي اتسمت بالنشاط الشعري والتألق الفني ، من جميع الجوانب ، فالناظر إلى ما أنشده المتنبي مدة إقامته في شيراز يجد تطوراً واضحاً في الكم والنوع قد أصاب شعره , وهذا ما لم يغفل عنه الدارسون والنقاد ، الذين حاولوا استنباط أسبابه [227] ويبدو ان مستوى البيئة ، الأدبي واللغوي كان له أثر كبير في ذلك ، إذ ان المتنبي كان يعمد إلى تجديد شعره وتحسينه تحسُّباً وتهيُّباً ممن حوله من علماء كبار ولغويين بارزين ؛ وما يثبت ذلك قول المتنبي لابن جني " : أتظن ان عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به ؟! ليس الأمر كذلك ... لو كان لهم لكفاهم منه البيت ، قلت : فلمن هو ؟ !قلت : لكَ ولأشباهك " [228] .

فضلاً عن ذلك يأتي الدافع النفسي عند المتنبي ، إذ بدأت تعود إلى نفسه بوادر الأمل والطمأنينة في تجديد طموحاته وأماله ، فأخلص للبويهين ، ولعضد الدولة منهم خاصة ، وإن كان في واقع الأمر لا يخلُص إلا إلى طموحاته وأحلامه ؛ وقد نفخ هذا الإخلاص في شعر المتنبي روحاً من الحياة والتجدد حتى بلغ هذا التجدد أن تجاوز المتنبي المعقول واتخذ الضرورة أصلاً ... واستذلّ النحو واللغة للشعر ، وأعرض عما قد يكون من غضب النحويين أو رضاهم [229] ، وقد كان بخروجه عن (المعقول والمألوف اللغوي) ، كما يشار إليه طه حسين ، قد حقق لنفسه مزيداً من الشهرة ، وجعل من شعره مادةً خصبةً لحلقات الدرس اللغوي والأدبي في بيئة فارس مما أدى إلى انقسام العلماء على تيارين بإزاء المتنبي وشعره ، أحدهما معجب مخلص كابن جني وعلي ابن حمزة الأصبهاني والقاضي الجرجاني صاحب الوساطة ، و الأخر ناقدٌ عليه عائبٌ له كأبي علي الفارسي (في بداياته) وقد نال المتنبي من الحظوة والشهرة في هذه البيئة نصيباً وافراً ، فضلاً عن المكانة التي تبوأها عند البويهيين ، الأمر الذي قدم له دعماً نفسياً قوياً عند خروجه من فارس متوجهاً إلى العراق من جديد ، ولم يكن يعلم أنه إذ خطط ودبّر لبدأ مرحلة جديدة من حياته في العراق ، تعوض ما سبقها من الخيبة وانحسار الآمال في موطنه ، كان هناك من يدبر ويخطط لإفشال خططه ، فكان له الموت

---

[225] ينظر : اليتيمة / ج2 : 116 ، وينظر : الكامل / ج9 : 9 .
[226] ينظر : الصبح المنبي / 161 - 162 .
[227] ينظر : تاريخ الأدب العربي / ج3 : 343 .
[228] هامش الصبح المنبي / 164 .
[229] من تاريخ الأدب العربي / ج3 : 343 .

ا

بالمرصاد ؛ الموت الذي لم يدع له فرصة للاستمتاع بما حققه من انتصارات ومكانة في بلاد فارس.

وهكذا انطوت الصفحة الأخيرة من صفحات حياة هذا الشاعر ، الذي قضى جلَّها متنقلاً في طلب المجد والشهرة والسلطان ؛ فانقضت حياته تلك دون أن تنقضي آماله وأحلامه التي سعى لتحقيقها .

الصراع النقدي حول المتنبي أسبابه ودوافعه

يُعدّ المتنبي ظاهرة فريدة في ساحة الأدب العربي ، قديمه و محدثِه ، ومن الواضح أنّ ظروفاً كثيرة أسهمت في صنع هذا التفرد ؛ فمنها ما كان خاصّاً بشخص المتنبي وعبقريته الشعرية ، ومنها ما كان خاصّاً ببيئة الرجل ، وبعبارة أصح ، بظروف نشأته الاجتماعية منها والسياسية والثقافية ، وقد جوبهت هذه الشخصية ، على الرغم من هذا التفرّد وهذه العبقرية بكثيرٍ من الطعن والعداوة والخصومة ؛ وربما يكون مردّ ذلك إلى طبيعة النفس الإنسانية ، التي جُبلت على التحاسد والتباغض ، والتسابق في ميادين الحياة المختلفة منذ ظهور أول قرينين على وجه البسيطة : (هابيل وقابيل) .

وقد أفاضت كثيرٌ من الأقلام ، قديماً وحديثاً ، في تناول شخص المتنبي وعبقريته الفنيّة ، منها ما وقع في أسر تلك الشخصية وشباك عبقريتها ، فراح يُجزِل الثناء والإعجاب على كل ما يصدر من الشاعر ، غثّه وسمينهِ ، صحيحهِ وعليلهِ ؛ ومنها ما وقع في أسر تلك الشخصية أو العبقرية أيضاً ؛ لكن نتيجة هذا الأسر جاءت على العكس تماماً من الحالة الأولى ، ذلك حين سيطرت الأهواء على نفوس أصحابها ، وأصاب العمى بصائرهم وأفكارهم فجاءت آرائهم ممعنةً في التعصب ، مستغرقةً في اللهاثِ وراء العيوب والسَقطات التي لا منجى لأي إنسان ، مهما سما في منزلته عن الوقوع فيها .

ومع تنامي ذروة العبقرية والإبداع في شخص المتنبي تنامت دائرة الصراع بين التيارات المتنازعة بشأنها ، ولم ينجُ من أتون تلك الدوامة غير نفرٍ قليل من النقاد القدامى ، الذين التزموا ، أو حاولوا جاهدين ، طريق الموضوعية في أحكامهم بشأن هذه القضية التي شغلت الوسط الثقافي والأدبي في ذلك الوقت ، وكان القاضي الجرجاني أحد أبرز أعلام هذا التيار (تيار الوسط) ، ولا بدّ لنا هنا من أن نقف قليلاً عند أهم الأسباب التي أوقدت شرر الحملة ضد المتنبي ؛ ومنها ما يتعلق بطبيعة أصحاب هذا التيار ونزعاتهم المادية ، وأهوائهم الذاتية ، فضلا عما امتلكه المتنبي من قدرة فنيّة متميّزة ، كان من البديهي أن تُثير غيرةً من هم دونَه من مبدعي عصره خاصّة وأنّها ارتبطت بشخصية المتنبي ، التي قلّ نظيرها بين الشعراء ، خاصّة في القرن الرابع الهجري .

هذا العصر الذي سادت فيه روح المنافسة في معظم صور الحياة ، خاصة الاجتماعية منها ، فراحت مطامح الناس تتصارع لتجاوز الفجوة بين طبَقةِ الفقر والعَوَز والحرمان إلى طبقة الغنى والترف والانبساط ، إذ كانت قصور الأمراء والقادة حافلةً بها ، فكان أن تبارى الشعراء ، كلٌّ على طريقته لبلوغ درجة السَّبق في هذا الميدان ، الذي لم تكن أسس التباري فيه دائماً موضوعية وشرعية ، وقد أثبت المتنبي جدارته وتفوقه بين هذا الجمع الغفير ؛ فهو مقتدر مبدع في مجال الشعر باعتراف خصوم قبل أصحابه ، كما أن طموحه وهمتّه لم تكن تحدّها الحدود ، أو تبلغها النهايات ، وهو شاعر متعالٍ لا يتذلل في سؤاله ولا يستعطف ولا يعيرُ

صغائر الأمور أو الناس بالاً ، كل هذه الأمور ، وغيرها عمّقت من دائرة الخصومة حوله من جهة ، وأضعفت وسائل أصحابه ، للدفاع عنه من جهة أخرى .

ونستطيع تحديد بواعث الصراع النقدي حول المتنبي بثلاثة دوافع رئيسة ، وهي تتعلق بكل من المتنبي ، وخصومه وبيئاته على السواء :

1- الدافع المادّي : - وقد ألمحنا في بداية حديثنا عن سوء الوضع الاجتماعي للعصر ، الذي ولد المتنبي وترعرع فيه ، نتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية ، فضلاً عن اضطراب الأوضاع السياسية .. فلا يُستغرب في مثل هذه البيئة ، ومثل هذه الظروف ، أن تستفحل الخصومات والنزاعات بين الناس والشعراء منهم خاصة ؛ ويبلغ الصراع ذروته في حلبة التسابق وصولاً إلى أبواب الخلفاء والأمراء للعيش تحت كنفهم والتنعم بما يبذلونه من أموالٍ وعطايا للشعراء المادحين في كل وقت وحين .

وهذه في الحقيقة حال جميع شعراء العصر ؛ لكّن المتنبي كان يفوقهم جميعاً في اعتداده بنفسه ، فلم يكن ينظر إلى فُتات الموائد ، ولم يشغل نفسه بصغائر العطايا بل كان متطلعاً دوماً إلى المنازل الشريفة ، فلطالما لوحّ في شعره لسيف الدولة الحمداني ، ولكافور الإخشيدي من بعده [230] ، برغبته الواضحة في الولاية والسلطة ، ولم يقنع بما كان يمثّل عند غيره من الشعراء ، أكثر من كثير !! فقد خصص له سيف الدولة ثلاثة الآلف دينار في كل عام أجراً على ثلاثِ قصائدٍ [231] ؛ الأمر الذي أثار حفيظة وحسد حاشية سيف الدولة وعلى رأسها ابن عمه الشاعر ، أبا فراس الحمداني ، والأدهى من ذلك انّ المتنبي لم يكن يحرص على المال أو العطايا فحسب ، بل يحاول اتخاذه سبباً لارتقائه واتصاله بالمتنفذين من ذوي السلطة والشأن ، لذلك نراه يعرضُ عن بعض من طمع وطمح في مديحه له ؛ كالوزير المهلبي في بغداد ، وابن العميد في فارس ، والصاحب بن عباد في اصبهان وعضد الدولة بشيراز ... وغيرهم ... وعلى الرغم من أن من سبق ذكرهم كانوا يعدّون من أهل السلطة والنفوذ في بيئاتهم ، إلا انّ المتنبي كان يتطلع إلى عطاء من هو أعلى منهم رتبةً ، وأنفذ سلطةً ذلك لأنّه كان يقرن قيمة العطاء بقيمة المعُطي [232] ، وهذا ما قلَّ ، بل شذَّ وجوده بين الشعراء ، لاسيّما شعراء عصره ، ويرتبط سلوك المتنبي هذا بالدافع النفسي الذي سنأتي على ذكره لاحقاً .

2 – الدافع أو الباعث النفسي : - وربما نكون قد تحدثنا فيما سبق عن كثير من تفصيلات هذه المسألة ، التي أفاضت فيها كثير من الكتب والمؤلفات ، وخلاصة القول هنا انّ ثقة المتنبي بنفسه تعاظمت حتى بلغت الغرور وتجاوزته ،فقد كان يرى في نفسه ما لا يراه في الآخرين ، وما لم يَرهُ الآخرون فيه ؛ وقد زاد على ذلك انّه كان دءوبا على التصريح بذلك في كل زمانٍ ومكان ، دون المبالاة بآراء من

---

[230] ينظر : الواضح في مشكلات شعر المتنبي الأصفهاني / 10 .

[231] ينظر الصبح المنبى / 87 – 88 .

[232] ومثل ذلك قول المتنبي لكافور :

أبا المسك هل في الكأس فضل أنالهُ ... فاني أغنى منذ حين وتشربُ

وهبت على مقدار كفي زماننا ... ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ .

حوله ، وهذا ما عمَّق مشاعر الحقد والخصومة ضده ، فطالما كان للشعراء عادات وسيرٌ ألفوها عند إلقاء شعرهم في حضرة الخلفاء والأمراء ؛ حتى جاء المتنبي ، وخرق تلك العادات ، إذ نراه يشترط على سيف الدولة ألا ينشد شعره بين يديه إلا جالساً : وألا ينشد أكثر من ثلاث قصائد في كل عام ... وغيرها من الأفعال والأقوال التي تنأى بصاحبها عن ذّل السؤال والاستعطاف . لترقى به إلى عزة الموقف ، ولهذا يمكننا أن نلحظ شيوع ظاهرة في شعر المتنبي تميزه عن غيره من الشعراء وتفرّده بينهم ، وهي انّ قصيدة المديح عنده لم تعد صورة من صور الاستجداء الرخيص والتمسُّح المقيت ؛ " إنمّا أصبحت تغنياً بالمثل العليا والقيم والمبادئ ، ولم يعد الممدوح سيّداً تطأطأ له الرؤوس .. فقد سما المتنبي بذاته وبفنه ، ونظر إلى الممدوح على انّه لا يختلف عنه في مجد أو سلطان [233] ، وهذا كلّه كان سبباً مهماً في استنهاض همم الحاسدين والحاقدين علية خاصة ، حين يُلاقى كل ذلك من المتنبي بتقدير وحفاوة من صاحب الشأن والسلطان كسيف الدولة الحمداني وغيره من الأمراء ... ولعل من فضول الكلام أن نقول ، إنّ ما جُبلت عليه النفس الإنسانية من التطلع إلى التفرد بالاهتمام والشهرة والحضوة ، من أهم نزعات الإنسان إلحاحاً ، حتى إنّها تفوق الحاجات والرغبات المآدية عند كثير من الناس ، فكيف إذا كان الاثنان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً عند الشعراء ، وأكثر ما يتمثل هذا عند الشاعر المتنبي .

3- الدافع أو الباعث الفني : - لم يستطع النقاد الذين تحدثوا عن المتنبي أن ينسبوه إلى مذهب معين ، فنسبه بعضهم إلى صنعة مسلم وأبي تمام ، وعدل به آخرون إلى طبع البحتري ورأى الجرجاني أنه وسط بين المذهبين [234] ، وهكذا جمع المتنبي في شعره بين القديم والحديث ؛ فالمتنبي في باب المعاني غواص عليها ، لكنه في صياغته كان أقرب إلى أساليب القدماء وطرائقهم في التعبير واستطاع أن يمزج ذلك كله مزجاً قوياً ليختار لنفسه أسلوبه الخاص وطريقته المتميزة [235] وأدى هذا إلى تصعيد الخلاف و الخصومة حول شعره ، على أن في شعر المتنبي مزايا فنية أخرى ، جعلت من اختلاف وجهات النظر النقدية أمراً شائعاً فيه، وقد يصل إلى حد التناقض ؛ فقد كان أبو الطيب من أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري ، ومن المطلِعين عليها إطلاعاً لا نضير له ، وشهد له بذلك علماء اللغة أنفسهم ؛ قال الأصفهاني : " جملة القول في المتنبي أنه من حفّاظ اللغة ورواةِ الشعر وكل ما في كلامه من الغريب مستقىً من الغريب المصنف " [236] .

وكما يقول شوقي ضيف ان المتنبي كان " أول شاعر عباسي يتصنع في شعره تصنعاً نحوياً فمن قبله لم يكن الشعراء يكلفون أنفسهم الوقوف على المذاهب

---

[233] لغة الحب في شعر المتنبي / 9 - 10 .
[234] ينظر : الوساطة / 50 .
[235] ينظر : قضية عمود الشعر / 172 - 173 .
[236] الواضح في مشكلات شعر المتنبي / 228 ، وينظر : معاهد التنصيص / ج1 : 11 .

النحوية ، ومعرفة ما بينها من خلاف ولم يكونوا يتعمقون دراسة النحو على هذه الصورة التي رأيناها عنده " [237] .

والمتنبي بما انفرد به من مواقف بإزاء اللغة ، وما أتى به من جملةٍ شعرية متميّزة ، أسهم في اتساع مجالات النقد وظهور قضايا جديدة فيه ، فبرز منحى يُعنى بالأساليب فظهرت دراسات الجرجاني وابن الأثير ، وغيرهما في النقد اللغوي وفي مباحث الأسلوب ، بعد أن كانت تتمحور حول الإعجاز القرآني [238] .

ومن المفارقة أن تمثل مسألة تمكن المتنبي من حل مشكلة ما كان يُدعى بـ (الصراع بين القديم والجديد) [239] ، مشكلةً بحد ذاتها ، واجهت النقاد المعاصرين ، وشقّ عليهم استيعابها !! ولهذا نرى د. إحسان عباس يقول : " لقد صدم المتنبي النقاد بجرأته في الشعر ؛ جرأته التي تركب المبالغة حتى تمس القصيدة الدينية ، وتنتحل آراء فلسفية غريبة ، وتستخف بأصول اللياقة و العرف في مخاطبة الممدوحين ورثاء النساء ، وتتصرف في اللغة تصرف المالك المستبد ... كما أن المتنبي تعمَّد في شعره التغريب أو الإغراب الذي يثير حاجة النحويين إلى البحث و الاستطلاع " وقد أرضى الشاعر حاجته إلى الإغراب و مفاجأة السامعين به وأحس أنه قد ملأ نفسه إعجاباً وتهيباً له ، فصور ذلك تصويراً جميلاً رائعاً لا يخلو من التحدي " [240] .

وقد كان المتنبي طرفاً في بحث مسائل النحو و اللغة ، وله أنصاره المحبون وتلاميذه المخلصون الذين يجتمعون به ويتحلّقون حوله فيشرح لهم شعره ويروونهم قصائده ، فكانت تلك الحلقات " حلقات علمية تأخذ عنه شعره وتتفهم منه مراميه ، فابن جني ينبئنا أنه قرأ عليه الديوان وأنه كانت تجري بينه وبين الشاعر مجادلات ومناقشات تدخل في صميم عمل النقد ومهمة النقاد " [241] ، أما في مصر فقد كان يعقد حلقاته الأدبية في مسجد عمرو بن العاص الذي كان من اشهر الملتقيات العلمية و الأدبية " فكانت حلقة المتنبي بلا ريب من أهم مجالس الشعر و الأدب و الفلسفة في هذا العصر " [242] ، وقد أثارت هذه المجادلات و النقاشات حملة من الانتقادات حول شعر المتنبي أدت فيما أدت إليه ، إلى تتبع عيوب المتنبي و سرقاته .

والمهم في ذلك أنّ المتنبي كان عضواً مهماً في النقاشات اللغوية التي جرت في بلاط سيف الدولة الحمداني ، وقد حضرها خيرة العلماء كابن خالويه و أبي الطيب اللغوي وهذا ما حمل أبا علي الفارسي على توجيه بعض الأسئلة للشاعر ، ومنها سؤاله حول الجُموع على وزن فُعلى [243] ، وهكذا نجد انّ الطبيعة الخاصة التي

---

[237] الفن ومذاهبه / 339 .

[238] ينظر : المثال والتحول / 14 .

[239] ينظر : فصول في النقد العربي وقضاياه / حمد شيخ موسى : 15 .

[240] النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور / 167 .

[241] المتنبي بين ناقديه / 34 .

[242] أخبار سيبويه المصري / ابن زولاق : 44 .

[243] ينظر : مع المتنبي / طه حسين : 258 .

ميزت شعر المتنبي ، بسلوكه مسالك فنية لم يألفها كثير من أبناء عصره شعراءً ونقاداً وحتى المتلقين من عامة الناس ؛ وضعت المتنبي وشعره تحت مبضع النقد الأدبي ، ولهذا الوضع منافعه ومضاره في آن واحد ، فحين نقف على الناحية الفنية من شعر المتنبي ، يجدر بنا ألا نغفل قضية مهمة من القضايا الفنية ، رفدت حركة النقد في هذا العصر ، نعني هنا قضية الموازنات الأدبية ، وهي عملية دراسة العلاقات و المشابهة وأوجه الخلاف بين نصين من النصوص ، أو أديبين من الأدباء ، أو عصرين من العصور ، وهي بذلك تستهدف بيان أصالة كل منهما وخصائصه الفنية و النفسية .

" نستطيع أن نجزم بان الشعراء الكبار الذين شُغل بهم الناس كانوا سبباً في نشاط النقد الأدبي وإمداده بتلك الحيوية العظيمة التي ظهر أثرها في مؤلفات أبي هلال العسكري وابن الأثير وابن رشيق وأبي الحسن الجرجاني وغيرهم من فحول النقاد الذين شُغلوا بالموازنة بين الشعراء " [244] ، والموازنة تدفع النقاد إلى مزيد من الاهتمام بذلك ؛ ليُسلّم لهم الحُكم ويسلّم لهم الترجيح ، ويطمئن الناس إلى عدالةِ حُكمِهم ونزاهةِ رأيهم المبني على المقابلة والموازنة ، وقد ظهرت الموازنة مبكرة في تاريخ الأدب العربي ، وبقيت مسايرةً له على مر العصور .

وقد بدا هذا الفن أكثر نشاطاً في العصر العباسي بين كبار شعراء هذا العصر كبشّار بن برد ومروان بن أبي حفصة ، وبين مسلم وأبي العتاهية وأبي نؤاس ، ثم بين أبي تمام و البحتري ، وبين المتنبي وخصومه ، وبين الشعر والنثر ، والخطابة و الكتابة .. واللفظ و المعنى [245] .

وقد بلغ هذا الفن ذروتَه إلى أن ألف الآمدي كتابه (الموازنة بين أبي تمام و البحتري) التي تقوم على محاجّة بين خصوم أبي تمام وخصوم البحتري ، ودراسة السرقات لكل منهما ، ومع ظهور المتنبي في ساحة النقد ، أخضعَ خصومُه شعرَهُ لهذه الموازنات الأدبية كما فعل (الصاحب بن عباد) ، في كشفه عن مساوئ المتنبي .

وكذلك ابن الأثير في موازنته بين (أبي تمام والبحتري والمتنبي) ، حين حدد خصائص كل منهم ، وكذلك ما فعله عبد العزيز الجرجاني عندما قارن بين المتنبي وغيره من الشعراء [246] .

وخلاصة القول أن عملية الموازنة بحد ذاتها ، بغض النظر عن مجال الأدب و الشعر ، تقتضي المقارنة بين كفتين من جانب واحد أو جوانب عدّة ، ومن ثمّ الترجيح بين إحدى الكفتين ، وهذا بالطبع يعمل على إذكاء روح الصراع بين القرينين أو المتقاربين ... ومع أن لهذه القضية جوانب ايجابية تسهم في تفعيل عملية رفع المستوى الأدائي لشعراء العصر الواحد ، لكنها من خلال اعتمادها على النظرة التجزيئية للعمل الفني عملت على بخس قيمة كثير من النتاجات الفنية ؛

---

[244] النثر الفني في القرن الرابع ، ج1 ، زكي مبارك : 18 .
[245] ينظر : المتنبي بين ناقديه / 163 ، 166 .
[246] ينظر : النقد المنهجي عند العرب محمد مندور / 343 ، 356 .

ا

وخاصة فيما يتعلق بشعر المتنبي ، وليس أدل على ذلك من أنّ مثل هذه القضية الحيوية أستغِلت في تدعيم نظرية السرقات ، وفتح الباب على مصراعيه فيها ، فأخذ خصوم المتنبي على عاتقهم عملية التنقيب المضنية بين قصائد المتنبي وأبياته المختلفة لكشف حقيقة شاعرية هذا " اللص " الذي يسرق أبيات غيره من دون أن يشير إليها ، لا بل انه يتفاخر عليهم بأصالته المزعومة !! فنراهم يقتطعون الأبيات من القصيدة الواحدة ، مخلّفين السياق وراء ظهورهم ، ليقارنوها أو يوازنوها بأبيات أخرى لشاعر آخر ، مقتطعة أيضاً من سياقها ، الذي لم يكونوا يولوه اهتماما قط ؛ فيزعمون أنّ هذا اللفظ أجود ، وهذا المعنى أملح .. وتلك الصورة أبلغ .

و أنّ معظم القضايا النقدية التي عرضها القدامى كانت قضايا مزدوجة الطرفين كالأصالة والانتحال ، و اللفظ و المعنى والطبع والصنعة ، ثم انتقلت الأزمة إلى المفاضلة أو الموازنة بين اثنين اثنين من المحدثين ، كما يقول د. إحسان عباس ، حتى أصبحت المشكاة المزدوجة هي مشكلة الطريقة الشعرية ... وظلّ الحال كذلك حتى ظهور المتنبي وقيام معركة شعرية عنيفة حول شعره ، دامت طويلاً ، ولم تكن تلك المعركة إلا محاولة إلى إخراج المتنبي من دائرة التراث العربي ووضعه موضع الموازنة مع ذلك التراث كلّه ، وهي بذلك لم تكن صادرة إلا من عداء واضح اشخص المتنبي حصراً [247] .

وقد كانت السرقات الشعرية الباب الذي تنفذ منه أغلب القضايا المتصلة بالنقد فقد مهدت بطبيعتها إلى الموازنة والمقارنة بين الشعراء ، " كما مهّدت لوجود نقد تحليلي ، حاول الناقد فيه ، قبل أن يعرض للسرقة ؛ أن يأخذ في دراسة الأبيات عند كل من السارق والمسروق ، ثم دراسة أوجه الشبه بينهما " [248] .

ونخلص من هذا كله إلى أنّ أبا الطيب كان ظاهرة وعلامةً ومنطلقاً جديداً للنقد الأدبي ، " وحداً فاصلاً بين النظريات النقدية السابقة ، وما استجدّ في عالم النقد من آراء وبحوث " [249] .

وليس أدل على ذلك من كل تلك الكتب النقدية التي أنتجتها قرائح النقاد القدامى ، والتي حاولت استقصاء جميع الظواهر الفنية في شعر المتنبي ، متتبعة إياها بالنقد و التحليل و التأويل ، فتعددت شروح ديوانه ، تلك الشروح التي بدأت في حياة الشاعر ، وكان طرفاً مهماً في حلقاتها ، والتي أسفرت بعد وفاته ، وقد اجتذبت تلك الشروح العلماء من بلاغيين ونحويين وفلاسفة وشعراء .. فضلاً عن النقاد ، وإن دلّ هذا على شيء ، فإنه بلا شك يدل على القيمة الفنية المميزة لشعر المتنبي ، وإن كان المتنبي قد أصيب بنصال النقد غير الموضوعي في حياته وما بعدها ؛ فإنه أفاد كثيراً من الجهود النقدية واللغوية التي جعلت من شعره مادةً خصبة للدراسة والتحليل ، وفي الحالتين ، كان الفن الأدبي ، شعراً ولغةً ، الفائز الأوفر حظاً ، في

---

(247) تاريخ النقد : إحسان عباس / 21 – 22 .
(248) النظرية النقدية : هند حسين طه / 250 .
(249) المثال و التحول في شعر المتنبي / جلال الخياط : 9 .

ا

نهاية تلك المعركة النقدية ، التي لمّا يزل كثير من أصدائها حيةً وخالدةً حتى يومنا هذا ؛ لتجعل من المتنبي بحق الشاعر العظيم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس !!